



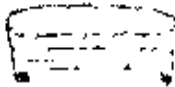
خطوط عريضة عن فرائض الإنسان وحاجاته العضوية

الامام البرويني:

ناقد على علم الكلام

تحقيق حلم هيرتزل

قتال الفتنه



يصدر هرزة كل شهر قصري عن ثلثة من التخصيات الجامعي الخمسم في لبنان

إلى السادة الكُتّاب	إقرأ في هذا العدد	المراسلات على العنوان التالي
<p>● يجوز إعادة نشر المواضيع التي تظهر في «الوعي» دون إذن مسبق. على أن تذكر المصدر</p> <p>● لا تقبل «الوعي» إلا المواضيع التي لم يسبق نشرها، وإلا فهل التكتب ذكر المصدر</p> <p>● لا «الوعي» حق تصحيح المواضيع المرسطة، وغير مرسطة بإعادة المواضيع التي لم تقبل للنشر</p> <p>● نرجو ترقيم ووضع خط تحت جميع الأبيات القرآنية والأحاديث النبوية الواردة في المقالات وتوجيهها.</p>	<p>□ مقال الفتنة ..... (ص ٤)</p> <p>□ اتفاقية سايبكس - بيكو ..... (ص ٦)</p> <p>□ مفهوم الجهاد في الإسلام ..... (ص ٨)</p> <p>□ خطوط عريضة عن غرائز الإنسان وحاجاته العنوية ..... (ص ١٠)</p> <p>□ تحقيق حلم هيرتزل ..... (ص ١٣)</p> <p>□ السببية (٤) الحلقة الأخيرة ..... (ص ١٦)</p> <p>□ لقر البنية في السلوك الإنساني ..... (ص ٢٠)</p> <p>□ العهد العمري ..... (ص ٢٤)</p> <p>□ الأمام الجويني تالفة على علم الكلام ..... (ص ٢٨)</p> <p>بالإضافة إلى الأبواب الثابتة</p>	<p>«الوعي» كلية بيروت الجامعية ص ب ٨٩ / ٥٠٥٣ - ١٣ بيروت - لبنان</p> <p>تمن النسخة</p> <p>لبنان: ٥٠ ل. ل. الولايات المتحدة: ١.٥ دولار السويد: ٥ كرون ألمانيا: ١.٥ مارك استراليا: ١.٥ دولار باكستان: ١٢ روبية الهند: ١٠ شلن بلجيكا: ٥٠ فرنك بلجيكي فرنسا: ٥ فرنك فرنسي سويسرا: ١.٥ فرنك يوغوسلافيا: ١.٢٥ دولار</p>

## ماذا يعمل سفراء الدول الكبرى في لبنان؟

غريب تشيبت سفراء الدول الكبرى بالبقاء في لبنان حتى وهو يحتضر ولا أثر للدولة فيه ولا وجود للنظام، فمن المعروف بأن لبنان لا يوجد فيه رعيا احانب وبالأخص رعيا للدول الكبرى لانهم دخلوا خلال موجات الحرب المتتالية، ثم أكمل ترجيلهم بعد عمليات خطف الأجانب ولم يبق لهم أثر، ومعروف أيضاً أن من أهم أعمال السفراء رعاية شؤون رعابا دولهم، فإين رعابا الذين يرعون شؤونهم؟ بقي أن نشير إلى أن من مهام السفراء أيضاً منح التأشيرات لدخول بلادهم ونقل توجيهات بلادهم والتجسس بشكل علم، أما بالنسبة لمنح التأشيرات فإن سفير أمريكا في لبنان لا يمنح تأشيرات لكل القاطنين خارج منطقة كسروان، بل الذي يمنحها هو سفارة أمريكا في دمشق، فعماذا يتدفق من نشاط لهذا السفير وغيره من سفراء الدول الكبرى غير التدخل في الشؤون الداخلية للبلد ورسم سياسته وتوجيه السياسيين من خلال التقطواف عليهم بدءاً بالمختارة ومروراً ببعبدا ووصولاً إلى زغرا، ولا تخلو شاشات التلفزيون من احد منهم يذلي بتصريح شبه يومي وكأنه من أقطاب الحكم في لبنان، وهذا بسبب في هدفه تثبيت نفوذ البلاد التي يمثلونها في لبنان من خلال التجسس على بعضهم كسفراء، ونقل المعلومات إلى عواصم بلادهم لكي يساعد ذلك في توجيه الصراع الدولي وخدمة الأهداف المرسومة.

## هدنة الانتفاضة

بعد موافقة المجلس الفلسطيني في الجزائر على قرار مجلس الأمن الدولي ٢٤٢ و ٣٣٨، وبعد خطاب عرفات في الأمم المتحدة وتصريحاته في شأن الاعتراف بإسرائيل، وبعد أن رضيت أمريكا عن منظمة التحرير، جاء الدور لإيقاف الانتفاضة داخل فلسطين. ولكن ماذا يقولون لمن قاموا بالانتفاضة كي يوقفوها؟ خطر على بلدهم أمر الهدنة، تتوقف الانتفاضة (كهدنة) مقابل أن تفرج إسرائيل عن المعتقلين الذي اعتقلتهم بسبب الانتفاضة، وتتوقف عن ابعاد الفلسطينيين عن فلسطين، وترفع القيود التي فرضتها على أهل الضفة والقطاع بسبب الانتفاضة، وتسهل أمر إجراء انتخابات بلدية.

بعض التنظيمات المنضوية تحت المنظمة انتقدت أمر هذه الهدنة، ولكن المؤشرات تدل على أن المنظمة هي صاحبة الفكرة، لأن رجالها هم الذين قدموا الاقتراح، ويسرون به في خجل.

لقد استغلت المنظمة هذه الانتفاضة لتعترف بإسرائيل، إذ هي تقول: نحن قبلنا القرارين ٢٤٢ و ٣٣٨ من موقع قوة (أي قوة الانتفاضة) والآن يقولون للمنظمة، اوقفي الانتفاضة من أجل أن لا يبغى لإسرائيل أية حجة في الرفض.

والمنظمة التي هانت سهل الهوان عليها، وما دامت غرقت في بحر التنازلات فما عادت تخشى الجبل.

ويأتي عرفات الآن ليهدد بالرجوع إلى المجلس الفلسطيني ليخبره أن إسرائيل رفضت السلام، وذلك من أجل أن يسحب المجلس اعترافه بقراري ٢٤٢ و ٣٣٨.

عرفات يريد بهذا القول أن يضغط على إسرائيل، وكأنه لا يعرف أن إسرائيل من الأصل لا يمكن زحزحتها من فلسطين أو من شبر منها إلا بالقتال.

وما قيمة سحب اعتراف المجلس الفلسطيني بعد أن أقر أن فلسطين هي لليهود، وقد أودع المجلس الفلسطيني وثيقة الاعتراف لدى هيئة الأمم المتحدة ولدى مجلس الأمن الدولي ولدى الدول الكبرى ولدى جميع الدول التي تعترف بمنظمة التحرير، كفاكم خداعاً يا قادة منظمة التحرير (علموا منظمة التنازل).

رئيس التحرير

أن تقوم من فراشك الى مسجدك كيف تصنع؟ قال: الله ورسوله اعلم. قال: تعفف. قال: يا ابا نر أرايت إن أصاب الناس موتاً شديداً يكون البيت فيه بالعبد (يعني القبر) كيف تصنع؟ قال: قلت، الله ورسوله اعلم. قال: اصبره. قال: يا ابا نر أرايت إن قتل الناس بعضهم بعضاً يعني حتى تغرق حجارة الزيت من الدماء كيف تصنع؟ قال: الله ورسوله اعلم. قال: اقعدي في بيتك واغلق عليك بابك. قال: فإن لم أنزل. قال: فأت من أنت منهم فكن منهم. قال: فأخذ سلاحي. قال: «فإن قتلهم فيما هم فيه، ولكن إذا خشيت أن يردعك شعاع السيف فأسق طرف رداك على وجهك كي يبرء بآثمه وانكس. وقال رسول الله ﷺ: «إنها ستكون فتنة الفاعد فيها خير من القانم والقانم خير من المشي والمشي خير من الساعي». قال: أرايت إن دخل علي بيني فبسط يده إلي ليقبطني فقال رسول الله ﷺ: «كن كلبن آدم، وتلا: «لئن بسطت إلي يدك لتقتنيها إنا بسطنا يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين».

ومعلوم أن ابن آدم هذا كان مظلوماً ومعتدى عليه بشكل لا يُبْس فيه، ومع ذلك فرسول الله ﷺ يأمرنا في حال الفتنة، أن نتصرف مثل تصرفه: «كن كخير ابني آدم».

إن الدفاع عن النفس في حالة الفتنة يكون بأن يلوذ من وجه أهل الفتنة بأن يفلق عليه بابه، أو بأن يرحل من المكان الذي فيه الفتنة الى مكان آمن، أو بأن يساير أهل الفتنة ويذكرهم الآخرة، أو بأن يستسلم لهم. أما إن أخذ سلاحه وواجههم فإنه يكون قد شاركهم وصار فاسقاً مثلهم، وانطبق عليه حديث: «إذا التقى المسلمان بسيفهما فالقاتل والمقتول في النار».

وهناك أحاديث كثيرة بمعنى تأمر المسلمين في الفتنة أن يقطعوا أوتار قسبهم وأن يضربوا حد سيوفهم بالأرض، أي أن يعطلوا أسلحتهم كي لا يطعيبهم الشيطان في ساعة تهوّر لأشهارها في وجه بعضهم

في القتال الذي يخبو ثم يستعر في لبنان بين (حركة أمل) و (حزب الله) يزعم كل طرف أنه يدافع عن نفسه وأن الطرف الآخر هو المعتدي.

ونحن في هذه الكلمة لسنا في صدد البحث عن الباديء في الاعتداء، ذلك أن الطرفين بعد أن تقابلا بالسلاح صارا معتدين اثنين.

لا قيمة من وجهة شرعية لما يزعمه كل طرف من أنه في موقف الدفاع، لأن الدفاع، في حالة الفتنة، لا يحل أن يكون باستعمال السلاح.

النصوص الشرعية جاءت تميز بوضوح بين حالتين: حالة تعرض شخص أو اشخاص لغيرهم بالاعتداء على أموالهم أو أعراضهم أو انفسهم: وحالة قتال الفتنة حيث يزعم كل طرف أنه على حق.

في الحالة الأولى يكون الدفاع مشروعاً ولو باستعمال السلاح لقوله عليه وآله الصلاة والسلام: «من قُتل دون ماله فهو شهيد، ومن قُتل دون دينه فهو شهيد، ومن قُتل دون عرضه فهو شهيد». ومن قُتل دون دمه فهو شهيد، وما ورد في الحديث الآخر: أرايت يا رسول الله، أن جاء رجل يريد أخذ مالي؟ قال: «لا تعطه مالك». قال: أرايت إن قاتلني؟ قال: «فقاتله». قال: أرايت إن قتلني؟ قال: «أنت في الجنة». قال: أرايت إن قتلته؟ قال: «هو في النار». وهذه الحالة هي اعتداء الصائل أو السارق أو قاطع الطريق.

أما الحالة الثانية، وهي حالة الفتنة بين المسلمين، أي الحالة التي يزعم كل طرف أنه على حق، سواء كان مقتنعاً بزعم نفسه أو غير مقتنع، في هذه الحالة جهل نصوص أخرى لا تميز الدفاع عن النفس بالسلاح من هذه النصوص قوله ﷺ: «إذا تواجه المسلمان بسيفهما فلقطل والمقتول في النار». قالوا: يا رسول الله، هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال: «إنه كان حريصاً على قتل صاحبه». وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: ركب النبي ﷺ حماراً وأردفني خلفه وقال: «يا ابا نر أرايت إن أصاب الناس جوع شديد لا تستطيع

# قتال الفتنة

برينة عند الله؟ إن ذلك غير سائغ، لأن هناك في الدين أموراً معلومة ولا يعذر المسلم في جهلها ولو كان أمياً.

وإذا كانت السرقة والزنا وشرب الخمر واكل الربوا حراماً قطعياً ولا يعذر مسلم في جهل هذه الأحكام، فإن قتل المسلمين وارعابهم وتشريدهم وتدمير بيوتهم واتلاف اموالهم هو أشد حمية وأكثر وضوحاً، ولا عذر فيه لأبي أو عالم، ولا قيمة فيه لفتوى

والتكفير ليس مسألة مزاجية. وقد درجت عادة ان من أراد أن يقاتل مسلماً ان يصدر أولاً فتوى بتكفيره، من أجل أن يقول: أنا لا أقاتل مسلماً، أنا أقاتل كفاراً، وذلك من أجل أن يبرر لجماعته أو للناس مشروعية عمله.

تكفير المسلم بحد ذاته جريمة كبيرة، إذ أن سبابه فسوق فكيف بتكفيره. والمسلم لا يُعتبر أنه كفر بمجرد وقوعه في المعاصي. ورغم أن قتال المسلمين يعتبر جريمة من أكبر الكبائر لأن الرسول ﷺ عبر عنه بالكفر مجازاً إذ قال: «سبب المسلم فسوق وقتاله كفر» ومع ذلك فإن الآية الكريمة لم تعتبره كفراً إذ قال تعالى: ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا﴾ فهم رغم اقتتالهم ما زال القرآن يعتبرهم مؤمنين. ولذلك فلجوء كل طرف إلى تكفير الطرف الآخر سيزيد في إثمه وليس في تبريره قتاله.

وإذا خادعت الاطراف المتقاتلة نفسها وقالت: نحن في موقف المدافع، أو قالت: ان الطرف الآخر كفر وليس بمسلم، فماذا يقولون عن السكان الأبرياء الذين لم يدخلوا مع طرف ضد طرف، كيف يسرون ترويعهم وتشريدهم وقتلهم وتدمير بيوتهم واتلاف اموالهم؟ ألا فليقتلوا الله وليخرجوا من فتنة الشيطان.

أسرة - الوعي

إن هذه النصوص صحيحة ومتفق عليها في كتب أهل السنة والشيعة. وبني واضحة كل الوضوح، ثم نسمع بعد ذلك من يقول: إن القتال بين المسلمين مشروع حين يكون دفاعاً عن النفس، ويخلطون بين قتال الفتنة المحرم في جميع الحالات، وبين دفع الصائل المشروع.

وبعد أن توضح لهم الفرق بين الحالتين يصرون على العناد ويذعنون أن عندهم فتوى شرعية تبيح هذا القتال الظالم.

نحن لم نقرأ مثل هذه الفتوى، ولم يعلن أحد من العلماء أنه أصدر مثل هذه الفتوى، بل نسمع أن الجميع يجرمون هذا القتال ويترأون منه.

ولنفرض أن هناك فتوى سرية. فهل مثل هذه الفتوى تبرئ الذمة عند الله، وهل العامي المقلد تبرأ ذمته شرعاً إذا قلّد فتوى وهو يرى أنها تصطدم صراحة بنصوص الشرع الصحيحة؟

هنا تكمن المشكلة.

إن الله أمرنا أن نتبع الوحي الذي أنزله ولم يأتنا لنا أن نتبع أهواء الرجال. قال تعالى: ﴿اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء﴾. ونحن نعلم أن العالم الذي نقله ليس معصوماً بل يجوز عليه الخطأ ويجوز عليه أن ينحرف عن الحق ويتبع الهوى. وليس معنى هذا أن نبقى في حالة شك بالمرجع الذي نقله، بل معناه أننا إذا وجدنا فتواه تصطدم مع ما هو معلوم من الدين بالضرورة فلا يحل لنا عندئذ أن نعمل بفتواه، وأن عملنا نكون قد تركنا شرع الإسلام واتبعنا أهواء الأشخاص. أرايتم لو أن العالم أفتى بالسرقه والزنا وشرب الخمر واكل الربوا، فهل يجوز للعامي أن يعمل بمثل هذه الفتوى بحجة أنه عامي وأن الذي أفتى بها عالم، وهل يسوغ للعامي أن يقول: أنا لا اعرف في الدين مثل هذا العالم ومادام في نظري من أهل العلم والفتوى فانا اخذ عنه مهما كانت فتواه، وتكون ذمتي

## اتفاقية

## بايكس - بيكو

نقل فيما يلي مقاطع من الفصل الرابع من كتاب  
(الصراع الدولي في الشرق الأوسط وولادة دولتي  
سوريا ولبنان) للأستاذ زين نور الدين زين  
وإننا نضع هذه الكتابات أمام القراء اليوم ليرى  
إن التجزئة والتقسيمات الحاصلة الآن بين أجزاء  
البلاد الإسلامية لم تكن إلا من مكر دول الكفر.  
كانوا يريدون أن يحلوا المسألة الشرقية حلاً نهائياً  
وكان لهم ما أرادوا.  
والغريب أن أبناء المسلمين اليوم يحافظون على  
هذه التجزئة، ولا يخلطون في رفع عقيرتهم منادين  
بالمحافظة على الاستقلالات المزيفة.  
فيا أبناء الأمة الإسلامية احذروا سبوم أعدائكم  
وعصلاء أعدائكم، وعودوا كالجسد الواحد، دولة  
واحدة، وأمة واحدة، خير أمة أخرجت للناس.

الامبراطورية العثمانية. كانت فرنسا تطالب بصورة  
مجددة واضحة بضم سورية وخليج الاسكندرونه  
وقيليقيا الامر الذي وافق القيصر عليه. وكان من  
الطبعي أنذاك، كما انه كان من الضروري ان يعقب  
الاتفاق حول استانبول اتفاق آخر اصبح يعرف فيما  
بعد باتفاقية (سايكس - بيكو) التي سماها أولاً  
الفيكونت غراي «الاتفاقية الفرنسية - البريطانية -  
الروسية السرية». حول مناطق النفوذ في اسيا الصغرى.  
ويبدو أن فرنسا هي التي بادرت الى فتح باب المداوات  
حول هذه الاتفاقية ففي ٢٢ آذار، ١٩١٥ بعث السيد  
كامبون السفير الفرنسي في باريس برسالة الى السير  
ادوارد غراي يقول فيها ان السيد دلكاسه قد لاحظ انه  
«بما ان قضية استانبول والمضائق وهما القضيتان  
التي تعنى بهما روسيا، قد انتهت فقد ان لفرنسا  
وبريطانيا العظمى ان تنصرفا الان الى بحث القضايا  
الأخرى المتعلقة بأسيا الصغرى». وقد اقترح دلكاسه  
ان تجري مفاوضات غير رسمية حول هذه القضايا.  
وقد كتب السير ادوارد غراي يقول: «لقد وافقت على  
هذا الاقتراح وقلت انه من الأفضل ان تجري هذه  
المفاوضات بيني وبين السيد كامبون». وقد استغرقت  
المفاوضات بين فرنسا وبريطانيا وروسيا اكثر من سنة  
واخيراً، بعد تداول الرسائل بين السير ادوارد والسيد

كان قد ان للحلفاء ان يفكروا في حماية مصالحهم  
أنحامة في تركيا، وان يطلوا المسألة الشرقية حلاً  
نهائياً وذلك بالاتفاق على تجزئة الامبراطورية العثمانية  
والواقع ان فكرة التقسيم كانت قد اخترعت عندما  
توصلت بريطانيا العظمى بالاشتراك مع فرنسا، بعد  
تردد طلال امدده، الى عقد اتفاقية سرية مع روسيا في  
شهر آذار، ١٩١٥، تدعى بموجبهما هاتن الدولتان الى  
مطالب روسيا من انه في حال انتصار الحلفاء فان  
استانبول والمضائق تضم الى ممتلكات القيصر. بقي  
الشق الثاني من القضية وهو حصة كل من بريطانيا  
العظمى وفرنسا من غنائم الحرب عندما تنهزم تركيا.  
ليس من جهة تسوية المسألة الشرقية وحسب، وإنما من  
حيث الإبقاء على توازن القوى في البحر الأبيض  
المتوسط وفي منطقة الشرق الأوسط أيضاً. والواقع انه  
عندما تم الاتفاق على اتفاقية استانبول وافقت روسيا  
على الاعتراف «بحقوق بريطانيا العظمى وفرنسا في  
الممتلكات العثمانية الآسيوية».

كما انها وافقت أيضاً على ان تكون الاماكن  
الإسلامية المقدسة والجزيرة العربية ضمن حكومة  
إسلامية مستقلة.

في الوقت الذي لم تكن فيه بريطانيا العظمى قد  
حددت نهائياً ما كانت تنسى، الحصول عليه من تركيا

جسدي الأخرى ١٤٠٩ هـ - الموافق كانون الثاني ١٩٨٩ م

نزلت كالصاعقة على كثيرين من المسلمين السنّين في جميع انحاء العالم، ولا سيما بين مسلمي الهند. فما ان اعلنت الثورة العربية حتى سارع الأتراك الى تعيين الشريف علي حيدر اميراً على مكة عوضاً عن الشريف حسين ولكنه لم يستطع تسلم المنصب.

لكي يستطيع المرء ان يلقى نظرة خاطفة على ما كان يخفي القدر لمنطقة الشرق الأدنى العربي ينبغي له ان يطلع على مضمون وثيقة بريطانية وضعت سنة ١٩١٧ بعد ان كان الحلفاء قد قطعوا عهداً للشريف حسين سنة ١٩١٥، وبعد ابرام اتفاقية سايكس - بيكوف سنة ١٩١٦. هذه الوثيقة هي بيان حول السياسة الخارجية المرفوعة الى المجلس الحربي الامبراطوري. حملها الى وزير الخارجية السيد لانسنغ في واشنطن يوم ١٨ ايار، ١٩١٧، السيد بلفور، رئيس البعثة البريطانية الخاصة التي كانت آنذاك تقوم بزيارة للولايات المتحدة. اما السياسة المتعلقة بتركيا - وكانت سياسة متجهمة تنطوي على التشاؤم وتوقع الكوارث - فقد اختصرت بما يلي:

«لا شك في ان تعطيم الامبراطورية العثمانية الفعلي هو احد الاهداف التي نعمل على تحقيقها. وقد يبقى الأتراك - واني لارجو ذلك - شعبا على شيء من الاستقلال ضمن منطقة في آسيا الصغرى. واذا تم لنا النصر فمما لا شك فيه ان الأتراك سيحرمون من جميع المنطقة التي نطلق عليها اسم الجزيرة العربية، كما انها ستحرم من معظم الأجزاء الهامة في وادي الفرات ودجلة. وستفقد استانبول، وسوريا، وارمينيا. كما ان اجزاء من جنوبي آسيا الصغرى اذا لم تصم الى القوات الحليفة فانهما ستكون بصورة ما تحت سيطرتهم.»

كشفت الثقب لأول مرة عن وجود معاهدات سرية في شهر تشرين الثاني، ١٩١٧، عندما عثر عليها في ملفات وزارة الخارجية الروسية وقد اصدر تروتسكي، وزير الخارجية الروسية آنذاك امراً بنشرها. وقد ذكر عن تروتسكي انه قال في اجتماع اللجنة التنفيذية المركزية للسوفييات في بتروغراد: «... ان جميع المعاهدات السرية هي الآن في متناول يدي. وهذه الوثائق، التي ثبت ان بنودها تنطوي على لؤم يفوق ما كنا نتوقعه، ستنشر قريباً... اننا سنكس جميع هذه الوثائق السرية لنرمي بها الى سلة المهملات. وكانت جريدة المانشستر غارديان اول صحيفة بريطانية نشرت خلاصة المعاهدات السرية المتعلقة باستانبول وبآسيا الصغرى (اتفاقية سايكس - بيكوف) في عدديها الصادرين في ٢٦ و ٢٨ تشرين الثاني، ١٩١٧.

بول كامبون والسيد سرج سazanوف، وزير خارجية روسيا، اسفر الامر عن عقد اتفاقية سرية بين هذه الدول الثلاث العظمى حددت فيها مطالب كل منهما في تركيا الآسيوية، وهي الاتفاقية التي اصبحت تعرف فيما بعد «بصورة غير رسمية، باتفاقية سايكس - بيكوف. اما بنود هذه الاتفاقية فقد احتوتها رسالة بعث بها السيد غراي الى السيد كامبون مؤرخة في ١٦ ايار، عن وزارة الخارجية بموجب اتفاقية سايكس - بيكوف، كانت فرنسا وبريطانيا العظمى على استعداد ان تعترفا وتحصيا دولة عربية مستقلة او حلف دول عربية مستقلة تحت رئاسة رئيس عربي، في المنطقتين «أ» و«ب». وتكون منطقة «أ» تحت حماية فرنسا ومنطقة «ب» تحت حماية بريطانيا. ولم تقتصر منطقة «أ» على المدن السورية الرئيسية - دمشق وحمص وحماة وحلب - وحسب بل كانت تشمل الموصل في شمالي العراق. اي انها كانت منطقة تشمل الجزء الأكبر من الولايات العثمانية الثلاث: ولاية الشام (دمشق)، وولاية حلب، وولاية الموصل. كذلك حصلت فرنسا على منطقة زرقاء وبريطانيا على «منطقة حمراء» يباح لكل منهما في منطقتي «انشاء ما ترغبان فيه من شكل الحكم مباشرة، او بالواسطة، او من المراقبة بعد الاتفاق مع الحكومة او حلف الحكومات العربية». كانت المنطقة الزرقاء تشمل شقة سوريا الساحلية بما في ذلك الاسكندرون واللاذقية وطرابلس وبيروت وصيدا وصور، كما انها كانت منطقة تمتد حتى تشمل جبل لبنان وبالإضافة الى هذا كانت تشمل قيلية، وجزءاً كبيراً من اواسط آسيا الصغرى ومن طرفها الجنوبي الشرقي. اما «المنطقة الحمراء» البريطانية فقد كانت تشمل جزءاً كبيراً من ولاية بغداد في الواقع منحت فرنسا، بموجب اتفاقية سايكس - بيكوف، حق المراقبة على لبنان وسوريا باستثناء «جنوبي سوريا» أي فلسطين، التي اُشير اليها في الخريطة «بمنطقة سمراء» حيث ستنشأ «ادارة دولية». وهكذا اصبحت سوريا «ارض الميعاد» موثمين. فقد وعد بجره صها للشريف حسين، ووعدت بكاملها لفرنسا، لكن الشريف حسين لم يكن قد طلع على اتفاقية سايكس - بيكوف عند توقيعها.

اسفرت المفاوضات مع الشريف حسين عما اصبحت يعرف في السنوات الأربعين الأخيرة بالثورة العربية. بدأت هذه الثورة في العاصم - بدمشق - ١٩١٠، بقيادة الشريف حسين وبمعاونة بريطانيا العظمى عسكرياً ومالياً.

ولكن من المتع ان نشير الى ان ثورة الشريف حسين ضد السلطان الذي هو ايضا خليفة المسلمين

# مفهوم الجهاد في الإسلام

محمد الانصاري  
تونس

الكلام عن الجهاد في الإسلام قد أخذ دوراً مهماً في حياتنا الحاضرة، وقد كثرت المؤلفات التي كتبت في هذا الموضوع في كل عام، ولعل هذا يرجع إلى ما يتفيم على حياتنا العامة من الذلة والمهانة التي يشعر بها كل مسلم أثناء الليل وأطراف النهار ما دامت إسرائيل تجثم فوق ديارنا وتحتل أغلى مقدسات المسلمين، والجهاد مفهوم خطير جداً وهو من المفاهيم التي إن انطلق بها المسلمون فإنهم يزلزلون بها الكفر وأركانته والإستعمار والذئبة ولذا حرص الكافر المستعمر أكثر ما حرص على تشويه هذا المفهوم في أذهان المسلمين بل وبعث كتلتات تدعي الإسلام من أجل إبطال الجهاد في سبيل الله.

او يقيدها. ولناخذ آيات الجهاد التي وردت في سورة التوبة لان سورة التوبة من آخر ما نزل بحسن لا يبقى مجال لهؤلاء لادعاء التخصيص او التقييد او النسخ. قال تعالى ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ وقال تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفْرَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفْرِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غُلظَةً وَاَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾.

فهذه الآيات الخمس قد جاء فيها الأمر بالقتال عاماً ومطلقاً مكلها ظاهر فيها العموم والاطلاق فتكون دليلاً على أن الجهاد هو مقاتلة الكفار سواء اكان مباداة العدو بالقتال ام كان دفاعاً عن المسلمين، وأما قوله تعالى: ﴿وَأَنْ جُنْحُوا لِلْإِسْلَامِ فَاجْتَنَحُوا لَهَا﴾ وقوله: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ وقوله: ﴿أَذْنُ لِلَّذِينَ

لم يكلف الكافر المستعمر بهذه الحملة بل نفت سموه على يد المستشرقين حتى يلوثوا ويشوهوا مفاهيم الإسلام الناصعة وأولها الجهاد، وانني لا أشك لحظة واحدة في أن المسلمين قد تخبطوا في هذا المفهوم الخطير تخبطاً ملموساً في أفعالهم أحياناً وفي أقوالهم أحياناً أخرى. فالسلمون في حروبهم اليوم ليسوا كما كانوا وحتى أقوال بعض علمائهم قد تهاقت حتى وصلت إلى الحضيض ورضيت من الإسلام أن يكون خانعاً وقابعاً في حدوده ساكناً عن نشر لواء الدين.

حقاً أن الأقوال قد اضطربت بل تقاربت وأصبحت أقرب ما تكون إلى الوهم والخيال فمن أقوالهم - وهي أخطر ما يكون - أن الجهاد حرب دفاعية، وللرد على هؤلاء القائمين بأن حرب دفاعية الآتي:

أولاً: أن أدلة الجهاد أدلة عامة ومطلقة تشمل الحرب الدفاعية وتشمل الحرب المحدودة وغير المحدودة وتشمل كل أنواع قتال العدو لعمومها واطلاقها، فتخصيصها بالحرب الدفاعية أو تقييدها بأن تكون حرباً دفاعية لا هجومية يحتاج إلى نص يخصصها أو يقيد بها لأن تكون حرباً دفاعية، ولم يرد نص يخصصها



## في مواجهة الغزو الفكري

واضح فيهما أن الجهاد هو مبادأة العدو بالقتال على أن الرسول ﷺ قد بين أن الجهاد ماضٍ إلى يوم القيامة. عن انس قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث من أصل الإيمان: الكف عن قتل لا إله إلا الله لا تكفره بنذبه وتخرجه من الإسلام بعمل والجهاد ماضٍ مذ بعثني الله إلى أن يقاتل آخر امتي الدجال لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل والإيمان بالآفاق، يعني أن الجهاد ماضٍ إلى قيام الساعة. وقال ﷺ: «بعثت بالرسول بين يدي الساعة». ولا يكون الجهاد إلى قيام الساعة إذا كان حرباً دفاعية فحسب، فأتوا الرسول ﷺ صريحة بأن الجهاد هو القتال لنشر الإسلام. فخرج النبي ﷺ إلى الشام هو خروج لقتال الروم فقد بدأ النبي ﷺ أعداءه بالقتال من أجل نشر لواء الإسلام بل كان يرسل السرايا كسرية عبد الله بن جحش إلى قتال أعدائه وحروب الرسول ﷺ وإن كان فيها حروب دفاعية كأحد الأحزاب فإن أكثرها كان مبادأة بالقتال لنشر الإسلام. أما أجماع الصحابة على أن الجهاد هو القتال في سبيل الله لنشر الإسلام وأنه مبادأة بالقتال فإنه يكفي فيه فتح العراق وفارس والشام ومصر وشمال أفريقيا فأنها كلها فتحت في عهد الصحابة وبإجماع منهم.

فهذا كله دليل مسكت على أن الجهاد ليس حرباً دفاعية وإنما هو قتال الكفار لأعلاء كلمة الله تعالى.

إن أي أمة تحمل فكرة كلية عن الكون والإنسان والحياة وطريقة معينة في الحياة لا يمكن أن تكون إلا أمة مجاهدة أي أمة تبديء الناس بحمل الدعوة والقتال في سبيلها لأن الدعوة للفكرة الكلية المقرونة بطريقة معينة في الحياة تقتضي بطبيعتها مبادأة الناس بالقتال في سبيلها فهي قيادة فكرية تقود معتققيها لأن يجعلها لغزها وتقود حاملها والمحمولة إليه الفكر والتفكير فينتج حتماً الصراع الفكري واقتحامها بطريقة معينة في نظام الحياة يقتضي رؤيتها حية في تنظيم العلاقات بين الأفراد والجماعات ويتحتم التطبيق أما بالاختيار أو بالاجبار وهذا يستوجب القتال إذ لم يحصل التطبيق بالاختيار.

من هنا كانت الأمة الإسلامية أمة مجاهدة تبديء الناس بحمل الدعوة والقتال في سبيلها ومن هنا عرف الجهاد بأنه حمل الدعوة إلى الإسلام والقتال في سبيل الله، وبديهي أن يدخل تحته الدفاع عن المسلمين وعن بلاد المسلمين باعتباره دفاعاً عن الدعوة لذلك فإنه من الغريب على الإسلام ومن المناقض لطبيعة الأمة الإسلامية باعتبارها حاملة دعوة أن يقال إن الجهاد حرب دفاعية وليس بمبادأة الناس بالقتال لأنه إن كان حرباً دفاعية لا يتجاوزها لا يكون جهاداً.

يقالون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير ﴿ وما شاكل ذلك من الآيات فإنها كلها لا تصلح لأن تخصص عموم آيات التوبة ولا أن تقيدها مطلقاً لأنها كلها نزلت قبل آيات التوبة والمقدم لا يخصص المتأخر ولا يقيد به لأن التخصص بمثابة نسخ لجزء من العام لأنه صرف الحكم على عمومه بإبطاله في البعض ووضع حكم آخر مكانه. مدام التخصص بمثابة النسخ والنسخ يشترط فيه أن يكون الناسخ متأخراً عن المنسوخ وذلك لا تصلح هذه الآيات لتخصص آيات التوبة لأنها متقدمة عنها في النزول وآيات التوبة من آخر ما نزل في الجهاد، فلا يتأتى التخصص وما قبل في التخصص يقال كذلك في التقييد، فلا بد أن يكون النص المقيد متأخراً عن النص المطلق أو مصاحباً له حتى يكون قيده له وما دامت آيات: ﴿وإن جنحوا للسلم فاجنح لها...﴾ وما شاكلها متقدمة على آيات التوبة فلا تصلح للتخصص ولا للتقييد فيسقط الاستدلال بها على أن الجهاد حرب دفاعية ولمعوم الأدلة التي نزلت بعد هذه الآيات، وعليه يبقى العام على عمومه والمطلق على إطلاقه ويكون الجهاد هو قتال الأعداء مطلقاً وبشكل عام يشمل الحرب الهجومية والدفاعية أو الوقائية أو الحرب المحدودة وغير المحدودة وجميع أنواع الحروب وعلى ذلك تسقط أقوال واقتراءات الذين لا يريدون للإسلام الأذلة والمهانة.

ثانياً: إن الجهاد الإسلامي ليس بجهاد لا غاية له وإنما هو الجهاد في سبيل الله وقد لزمه هذا الشرط ولا ينفك عنه أبداً وذلك أيضاً من الكلمات التي اصطلح عليها الإسلام لتبينه فكرته وإيضاح مفاهيمه وأحكامه وقد اتخذ كثير من الناس بمدلوله اللغوي الظاهر وحسبوا أن إخضاع الناس لعقيدة الإسلام وإكراههم على قبولها هو الجهاد في سبيل الله. أما قول الرسول ﷺ فقد أخرج الشيخان عن عبد الله بن عمر قال قال ﷺ: «أسرت إن القاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويقوموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإن فعلوا ذلك عصموا مني بملأهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسبهم على الله تعالى» وعن سليمان بن بريدة عن أبيه قال: «كان رسول الله ﷺ أن أمر أسيراً على جيش أو سرية فوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً ثم قال: اغزوا باسم الله في سبيل الله فقتلوا من فر يائه واغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تعطلوا ولا تقتلوا وليدة وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال أو خلال فإيهن أجلبوك فاقبل منهم وكف عنهم، ادعهم إلى الإسلام... فهذا الحديثان

## خطوط عريضة عن غرائز الإنسان وحاجاته العضوية

بقلم: محمد أبو وائل

حين ننظر إلى الإنسان نجد أن فيه جوعاتٍ فطرية كثيرة ومتشابكة تتطلب الإشباع، فنجد فيه الميل الجنسي ونجد فيه حب الظهور ونجد فيه الجوع والعطش والحاجة إلى النوم ونجد فيه الضوف والشجاعة والحب والحنان والبخل والإحترام والعبادة والتكبر والتجمع... وغير ذلك من الإنفعالات والجوعات، ونجد أن أعمال الإنسان كلها إنما هي لإشباع هذه الجوعات، فما هي هذه الجوعات؟

امتداد لبقائها، لأنها قد تضحي بنفسها من أجل طفلها الرضيع الذي لم يكتسب شيئاً من شخصيتها فنكون عاطفة الأمومة مظهراً لغريزة أخرى غير غريزة البقاء، وهي غريزة النوع، وهي غريزة مستقلة عن غريزة البقاء ولكل منهما مظاهر متميزة عن مظاهر الغريزة الأخرى. وهناك مظاهر أخرى لا علاقة لها بغريزة النوع ولا بغريزة البقاء، وذلك كالاحترام مثلاً، فعندما تشعر أنك تحترم شخصاً ما فإن هذا الاحترام ليس لأنك تخافه، لأن الخوف مظهره الملق أو الهروب أو الدفاع وهذا يناقض الاحترام، فالشعور بالاحترام لا علاقة له بالحرص على ذات الإنسان ولا باستمرار النوع الإنساني، وإنما هو مظهر لغريزة ثالثة هي غريزة التدين. والتدين غريزة طبيعية ثابتة إذ هو الشعور بالعجز الطبيعي في الإنسان وبماجته إلى الخالق المدبر بغض النظر عن تفسير هذا الخالق المدبر. وهذا الشعور فطري يكون في الإنسان من حيث هو إنسان - مؤمناً كان أو ملحداً - والمظهر الذي يظهر به هذا التدين هو التقديس، وهذا التقديس قد يظهر بمظهره الحقيقي فيكون عبادة وقد يظهر بأقل صورته فيكون التحظيم والتبجيل. ولذلك نجد الإنسان متديناً، ومدت أن أوجده الله على الأرض نجده يعبد معبوداً ما، فقد عبد الله وعبد الشمس والأصنام، ولا نجد شعباً في

إن المشاهد بالحسن من تتبع أعمال الإنسان أن هذا الإنسان فيه طاقة حيوية لها مظهران أحدهما يتطلب الإشباع الحتمي بحيث إذا لم يشبع يموت الإنسان. وهذا يتعمل في الحاجات العضوية كالجوع والعطش وقضاء الحاجة والحاجة إلى النوم والتنفس... والثاني يتطلب الإشباع ولكن بشكل غير حتمي، فإذا لم يشبع يبقى الإنسان حياً ولكنه ينزعج ويقلق. وهذا محصور في الغرائز الثلاث: غريزة البقاء وغريزة النوع وغريزة التدين. فإذا استثنينا ما يتعلق بالحاجات العضوية فإن كل جوعات الإنسان إنما هي مظاهر لغريزة من هذه الغرائز الثلاث: فحب الظهور مثلاً، وحب التملك والتجمع والخوف والشجاعة والتكبر والقومية والوطنية والاستعمار والكرم... كل هذه مظاهر لغريزة واحدة هي غريزة البقاء، فكلها مظاهر لحرص الإنسان على ذاته. وكذلك ميل الرجل إلى المرأة بشهوة، والميل إلى الأم بحنان والميل إلى أستاذ الغريق والميل إلى إغاثة الملهوف والاشعزاز من منظر الإنسان المقطوع الرأس ومحبة الأطفال... كلها مظاهر لغريزة النوع لأنها كلها متعلقة بالميل إلى ما يحفظ النوع الإنساني وبالنظور مما يهدده، ولا علاقة لها ببقاء ذات الإنسان، فعاطفة الأمومة قد تجعل الأم تضحي ببقائها من أجل أولادها، وليس ذلك لأنهم امتداد لشخصيتها أي

أي عصر إلا وهو بعيد، حتى الشعوب التي قام فيها السلطان بالقرعة يجبرها على ترك التدين كانت متدينة رغم القوة وتحملت كل الأذى في سبيل عبادتها وإن تستطيع قوة أن تنزع من الإنسان التدين، لأن الغريزة لا يمكن محوها وإنما يمكن معالجة مظهر من مظاهرها بمظهر آخر. وعمل ذلك فإن ما يظهر على بعض الملحدين من عدم العبادة أو من الاستهزاء بالعبادة، إنما هو صرف لغريزة التدين عندهم عن عبادة الله إلى احترام وتعظيم المخلوقات، وجعل مظهرها في تقديس الطبيعة أو الأبطال أو الأشياء الضخمة، واستعملت لهذا الصرف المغالطات والتفسيرات الخاطئة للأشياء. ومن هنا كان الإلحاد أصعب من الإيمان لأنه صرف للإنسان عن فطرته فيحتاج ذلك إلى جهد كبير، وما أصعب أن ينصرف الإنسان عن مقتضى طبيعته وفطرته، وإذ ذلك نجد الملحدين، حين يتكشف لهم الحق ويدركون وجود الله بالعقل إراكاً جازماً، نجدهم يسرعون إلى الإيمان ويشعرون بالراحة والأطمئنان ويزول عنهم كابوس كان يتقلهم ويرميهم في هوة الشقاء.

هذه هي حقيقة الفرائض وحقيقة مظاهرها، فالغريزة ثابتة في الإنسان وهي جزء من تكوينه لا يمكن محوها، فإنها لا بد أن تظهر بأي مظهر من مظاهرها. أما مظاهر الغريزة فيمكن كبتها ويمكن معالجة مظهر بمظهر، ففي غريزة البقاء مثلاً يمكن معالجة الانانية بالانقار ويمكن معالجة البخل بالكرم. وكذلك غريزة التفرغ من مظاهرها الميل إلى المرأة بشهوة والميل إلى الأم بحنان، فيمكن معالجة أو تخفيف الميل للمرأة بشهوة بالميل للأم بحنان. وكثيراً ما يكون حنان الأم صارفاً عن الزوجة وحتى عن الزوج.

وتختلف الفرائض عن الحاجات العضوية من ناحيتين:

الأولى، أن الحاجة العضوية تتطلب الإشباع الحتمي وإذا لم تشبع يموت الإنسان بخلاف الغريزة فإنها تتطلب الإشباع فقط، وإذا لم تشبع يقلق ولكنه لا يموت، فالإنسان إذا لم يأكل أو يتنفس يموت، ولكنه لا يموت إذا لم يصل أو لم يتزوج.

الثانية، أن الحاجة العضوية تتحرك للإشباع داخلياً من ذاتها وتثار من الخارج، فالجوع يأتي من الداخل طبيعياً ولا يحتاج وجوده إلى أي مؤثر خارجي، فالإنسان يحس بالجوع ولو لم يخطر الطعام بباله أبداً، صحيح أن منظر الطعام أو الحديث عن الطعام أو تفكيره بالطعام يثير شعوره بالجوع ولكنه ليس من الضروري أن يرى الطعام أو يفكر به حتى يشعر بالجوع، بل قد يشعر بالجوع دون أي مؤثر خارجي. وهذا بخلاف الغريزة فإنها لا تتحرك من ذاتها مطلقاً

ولا يعمل الشعور بالحاجة للإشباع إلا بمؤثر خارجي، فغريزة البقاء مثلاً لا تظهر بمظهر الخوف إلا بوجود ما يخيف أو بتخل الإنسان لما يخيف، وكذلك لا تتحرك الشهوة الجنسية إلا إذا رأى الإنسان واقعا محسوسا يثير هذا الشعور أو تحدث إنسان أمام عما يثير هذا الشعور أو تداعت في مخيلته صور تثير هذا الشعور، وما لم يوجد الواقع المحسوس أو الفكر لا يمكن أن يثار هذا الشعور. ولهذا لا يسبب وجود الغريزة من حيث هي في الإنسان قلقاً وإنما إثارة الشعور الذي يتطلب الإشباع هي التي تسبب القلق حين لا يتأتي الإشباع، فإذا لم يوجد شعور الإشباع بعدم وجود ما يثيره لا يوجد أي قلق مطلقاً. ولذلك كان من الحماقة وقصر النظر أن توضع بين الناس المؤلفات الجنسية والروايات الجنسية، وكان من الحماقة وقصر النظر أن يفسح المجال لإيجاد الواقع المحسوس الذي يثير غريزة النوع باختلاط النساء بالرجال أو بخروج النساء متبرجلات، لأن هذا يعني إيجاد ما يثير شعور الجنس وإيجاد القلق حتى يشبع هذا الشعور، ثم إيجاد الواقع الذي يثيره مرة أخرى، فيتحرك للإشباع دائماً، فيكون مشغولاً بالعمل لتحقيق هذا الإشباع أو قلقاً حين لا يحقق هذا الإشباع. وهذا هو الانحطاط الفكري والشقاء المضمّن.

وأشباع الإنسان لهذه الفرائض والحاجات العضوية هو أمر حتمي، وهذا الإشباع لا بد أن يكون خاضعاً لإرادة العقل، وإلا أدى ذلك إلى الإشباع الشاذ في جهة ليست محلاً للإشباع أو إلى الإشباع الغاطيء في جهة هي محل للإشباع ولكن مجرد الإشباع، وكلاهما يتناقض مع الأصل الذي قامت عليه الغريزة، فعشلاً غريزة التدين إذا أشبعت عن طريق الوجدان فقلط أدى ذلك إما إلى الإشباع الشاذ بعبادة غير الخالق أو إلى الإشباع الغاطيء بالتقرب إلى الخالق بما يبعد عنه وكلاهما صرف للغريزة عما وجدت له. وكذلك غريزة النوع إذا تطلبت الإشباع بمظهر الجنس وأشبعت الشهوة الجنسية وجدانياً فقط جرهما ذلك إما إلى الإشباع الشاذ في جهة ليست محلاً للإشباع كاللواط أو السحاق أو قضاء الشهوة مع الحيوانات، وإما إلى الإشباع الغاطيء من جهة هي محل للإشباع ولكن مجرد الإشباع المؤقت أو غير المنظم بنظام صحيح وهذا معناه صرف عن نتيجة الإشباع وهي الولادة، وفي كلا النوعين صرف للغريزة عما وجدت له.

وعلى ذلك لا يجوز أن يترك إشباع الفرائض للوجدان، وذلك أن الوجدان شعور ذريزي يظهر بوجود ما يثير المشاعر الغريزية، فإذا أحدث الإنسان رجعا لهذا الشعور بمجرد وصوله دون استعمال عقله أدى ذلك إلى

خاطبنا ثم تزداد معلوماته فيضج رايه الثاني وهكذا فليس من عقل كامل المعلومات. وهناك أيضا ضغط البيئة، فالإنسان محدود ضمن بيئته، والمعلومات السابقة التي يستعملها في التفكير إنما يجمعها بواسطة الحواس، وحواسه محدودة في إطار البيئة والظروف التي يعيش فيها، فيكون بالتالي عاجزا عن الاحاطة بالوجود، وسيأتي نظامه منبثقا عن بيئة معينة وعن ظروف وأوضاع معينة لا يصلح لأن ينظم الانسان كإنسان.

وهكذا فالعقل محدود ضمن بيئة معينة وهو عاجز عن إدراك كنه العرائز والحاجات العضوية، فكل نظام يضعه يكون تخبطا واستعمالا للعقل في غير محله، كما يكون عرضة للتناقض والتأثر بالبيئة، ويؤدي الى الضنك والتعاسة والاضطراب.

وعلى ذلك فلا يمكن ان ينظم الانسان إلا خالقه، لأنه وحده الذي يحيط بواقع هذه العرائز والحاجات العضوية إحاطة كاملة، وهو وحده سبحانه المنزه عن النقائص والعيوب، فلا يأتي نظامه متناقضا او متأثرا ببيئة أو ظروف - تعالى الله عن ذلك - وإنما يأتي نظاما كاملا شاملا يعالج الانسان كإنسان في كل زمان ومكان، لأنه من صنع خالق الانسان فلا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير.

فالنظام الصحيح لا يأتي من غير الله سبحانه، ومهمة العقل هي اخضاع هذه العرائز والحاجات العضوية لهذا النظام عن طريق فهم هذا النظام والتقدير به، فالعقل بالنسبة للطاقة الحيوية بمثابة الخليفة بالنسبة للامة، يملك السلطان ولكنه لا يملك السيادة، فمهمته تنفيذ النظام وليس وضعه، فالعقل يكبح جماح العرائز والحاجات العضوية ويقيدها بشرع الله، والشرع ليست مهمته كبت العرائز أو مطابقتها، وإنما ينظمها تنظيما دقيقا يضمن إشباعها جميعها دون أن تطغى غريزة على غريزة أو حاجة على حاجة فيعيش الانسان في توازن نفسي، ويتمتع بقسط وافر من السعادة والطمأنينة، فالشرع هو النظام الوحيد الذي يضمن هذه الطمأنينة، وكل ما دونه من أنظمة ونظريات بشرية إنما هي القلق والبؤس والاضنك وهذه حقيقة ثابتة منذ أن خلق الله الانسان وستبقى حتى قيام الساعة ﴿فمن أفيح هداي فلا يضل ولا يشقى﴾ ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشتة ضنكا ونحشره يوم القيامة اعمى.

الضلال والخطأ، فقد ترى في الليل شيئا ما فنظنه عدوا لك فتتحرك فيك غريزة البقاء بمظهر الخوف، فإذا استجبت لهذا الشعور مباشرة وهربت دون أن تستعمل عقلك كان ذلك خطأ منك، لأنك قد تهرب من لا شيء، وقد تهرب من شيء لا ينفع معه الهرب كالسبع مثلا فإنك لا تقوى على الركض أمامه وإنما تلجأ الى الحيلة في تسلق شجرة مثلا، وما عبادة الاوثان وما تقديس الأولياء وما الضرافات والترهات إلا نتيجة لتحكيم الوجدان بعيدا عن العقل.

إذا فلا بد ان يكون العقل هو جهاز التحكم، ولا بد ان يكون تنظيم العرائز والحاجات العضوية خاضعا للعقل، ولا بد من نظام يكبح فيه العقل جماح الطاقة الحيوية، فمن أين يأتي هذا النظام؟ وهل يستطيع العقل أن يضعه بنفسه؟

إن العقل لا يمكنه أن يتعامل إلا مع الواقع المحسوس، والحقيقة ان العرائز والحاجات العضوية ليست واقعا محسوسا، صحيح أن العقل أدرك وجودها من خلال آثارها، ولكنه عاجز عن إدراك كنهها، فالعقل يدرك من وجود الكرسي أن هناك نجارا صنعه، ولكنه لا يستطيع أن يدرك شكل النجار من إدراكه للكرسي ولا شخصيته لأن آثار الشيء لا تدل إلا على وجوده، فلا يمكن أن ينظم العلاقة مع النجار إلا إذا وقع النجار تحت حسه، لأنه إن اعتمد على الكرسي الذي هي من آثاره في وضع النظام للنجار على أساس انه نجار قد يفاجأ به أنه مهندس وان النجارة مجرد هواية بالنسبة اليه، وكذلك العقل لا يمكنه ان يضع نظاما للعرائز من خلال آثارها أو مظاهرها لأن الآثار غير العرائز، وقد ينظم بعض المظاهر فتظهر الغريزة بمظاهر أخرى فيلعب في الحيرة والارتباك، والعقل لا يملك مقياسا يقىس به الخوف أو الجوع أو الحنان أو التسلط أو حب التملك وبالتالي لا يمكنه ان يضع حدودا بين هذه الجوعات ولا أن يحدد كمية كل منها.

هذا من ناحية واقع العرائز والحاجات العضوية، إذ واقعها يدل على عجز العقل عن التنظيم، وكذلك فإن واقع العقل نفسه يدل على عجزه عن التنظيم، فالعقل عرضة للتفاوت والاختلاف بين انسان وانسان، فقد يرى هذا أن الأساس يكمن في حل المشكلة الجنسية وقد يرى ذاك أن الأساس يكمن في حل المشكلة الاقتصادية وهكذا، وحتى نفس العقل قد يرى مرة أن المشكلة هي كذا ثم تزداد معلوماته فيرى أن رايه كان

## تحقيق حلم هيرتزل

سنة ١٨٩٥ ألف هيرتزل كتابه (دولة اليهود). وفي سنة ١٨٩٧ حاول شراء قطعة ارض من السلطان عبد الحميد. وفي سنة ١٩١٧ حصلوا على وعد بلفور. وفي ١٩٤٨ اقاموا دولة اليهود. وفي سنة ١٩٨٨ تنازل المجلس الفلسطيني في الجزائر عن فلسطين واعترف بشرعية اغتصاب اليهود لها.

السلطان عبد الحميد قال: انها ملك شعبي، ولن اتخلي عن اي جزء منها، فليوفر اليهود ملايينهم، لن اسمح ايديا بقشريحنا احياء.

هذا هو السلطان عبد الحميد الذي يقولون عنه انه كان مستعمراً. لماذا فعل عرفات ومجلسه ومنقلمته الذين يزعمون انهم اهل البلد!

فيما يلي بحث منقول من كتاب (تاريخ الشرق الاوسط الحديث) ليزموند ستوروت، مما يشير إلى أن ما ينفذ الآن كان مرسوماً قبل عشرات السنين، وأن الدول التي خططت في السابق هي التي تختار الأدوات المناسبة للتنفيذ وتصنعها على عين بصيرة.

خصصت لتنظيم المالية التركية. ثم طلب إلى نفلنسكي أن يساعده ويرافقه في رحلته

شم نفلنسكي رائحة الفاندة، وقد خلق لمثل ذلك، فادعى انه لم يقرأ كتاب «دولة اليهود»، فحسب بل اطلع عليه السلطان أيضاً، ومما شجعه على الاهتمام بالعمل الخالم الجديد انه لم يكن متسولاً ولا طالب معروف، بل ابن موظف بنك وصحافياً مشهوراً، ولا كأحد اولئك التفعيحين الذين يعومون حول قصر بلسن. ثم ان نفلنسكي نفسه كان مقامراً نعباً يحن إلى صفة احيرة كبيرة تمكنه من التساعد والراحة. يضاف إلى هذا ان بولونيا، وطن نفلنسكي، من أشد بلاد أوروبا تعصباً. ومهما أصبحت لاسامية نفلنسكي ضعيفة فلا بد من ان تكون فكره خروج اليهود من أوروبا قد راقته له.

لكنه تردد... ان السلطان لا يمكن ان يتخلى عن القدس المدينة المقدسة في نظر المسلمين التي عرج منها النسي إلى السماء. ثم ان السلطان لا يفهم المال تماماً

في طريقه إلى الغرب صادف نفلنسكي (رجل علاقات عامة، بولوني الاصل، كان السلطان كلفه بعض الامور السياسية) صحافياً وكتائباً مسرحياً شاباً يدعى هيرتزل، نصب نفسه ناطقاً باسم اقلية أخرى. وكان آخر ما نشر باللغة الالمانية كتاباً عنوانه «دولة اليهود» حاول ان يبرهن فيه ان اليهود ليسوا طائفة دينية بقدر ما هم شعب مشتت في العالم، وقال ان اليهود يستحقون وطناً يؤسسون لهم فيه دولة يعيشون فيها احراراً محترمين. لم يحدد المؤلف منطقة معينة لهذه الدولة ولكن المنطقة التي اوحى بها الكتاب وطلب بها قراءه الذين لم يعتبروه قصة خيالية تكون جزءاً من املاك السلطان عبد الحميد.

شرح هيرتزل لوكيل السلطان مشروعه الخيالي، واطلعه على رغبته في مقابلة عبد الحميد كي يعرض عليه مساعدة اليهود مقابل قطعة ارض يقيمون عليها وطنهم القومي، وقال ان عشرون ماوداً من الجنديت قد

الدائنين الذين احتكروا الملح والتبغ في الامبراطورية، واليهود هم الوحيدون القادرون على تحرير السلطان من هذا الوضع المهيمن. ثم ان الصحافة اليهودية ستصن سمعة العثمانيين التي شوهتها القضية الارمنية والصراع الطويل في البلقان. وإذا استقر في فلسطين المستوطنون اليهود المواليون للسلطان أمكنهم أن يساعده في حال الخلاف المحتمل مع العرب.

سارت الامور في القسطنطينية على عكس ما يشتهي هيرتزل. أقام فيها أسبوعين حصل له نفلنسكي خلالهما على وسام عثماني لا أكثر. كان السلطان متعباً دبلوماسياً فلم يقابله. وفي اليوم الثالث جاءه نفلنسكي برؤ عبد الحميد على مشروعه: «إذا كان الهر هيرتزل صديقك بقدر ما انت صديقي فنصحك ألا تقدم خطوة واحدة اخرى في هذا الشأن. لا استطيع ان ابيع قداماً واحدة من البلد لانه ليس ملكي بل ملك شعبي. لقد ربح هذه الامبراطورية وغذاها بدمه، وسنقذها مرة اخرى بدمنا قبل ان نسمح بتمزيقها. الفئران من فرقي جاعنا من سوريا وفلسطين قتلنا في بلبانسا، حتى أضر رجل، لم يخضع رجالهما، بل سقطوا جميعاً في المهيدان صرعى. إن شعبي هو ملك هذه الامبراطورية لا انا. لا استطيع الاضل عن اي جزء منها. استطيع اليهود ان يوالروا ملايينهم. حين تقسم الامبراطورية قد يأخذون فلسطين مقابل لا شيء. لكن لن تقسم إلا جثثنا لانني لن اسمح أبداً بقشريحتنا أهياء».

ادعش نفلنسكي هدوء هيرتزل وهو يستمع إلى رد السلطان. ادعى هيرتزل انه «تأثر بكلمات السلطان السامية حقاً. ان هناك جملاً مفاجئاً في هذا الايمان بالقدر الذي يتوقع الموت وتقطيع الأوصال ومع ذلك يحارب حتى آخر نفس». على أن هدوءه قد يفسر بتقديره لقوة الامبراطورية العثمانية. فقد كانت اضعف من عزم اليهود على أخذ فلسطين. ومع ان هيرتزل عاد إلى القسطنطينية إلا انه أخذ الآن يتصور تماماً ما تكون به عبد الحميد: ان تملك فلسطين يتم عن طريق انهيار الامبراطورية العثمانية وتقطيع أوصالها.

اتصل هيرتزل بالسلطات الالمانية حالما اقترحت زيارة القيصر للارض المقدسة ونشرت في الصحف اليهودية مقالات تدعو إلى تأسيس مستعمرة يهودية في الشرق الأوسط تحت الرعاية الالمانية. ارسلت نسخ منها إلى الحكومة الالمانية وإلى القيصر.

ساعد هيرتزل اثنان من الحلفاء الالمان، أولهما

كالخديوي اسماعيل الذي مات قبل سنة. ولموق كل هذا كان مشغولاً بمشكلة الأرمن وبالاكثرية اليونانية في جزيرة كريت التي بدأت تشاغب على حكمه. كل ما كان يهيم السلطان هو المحافظة على امبراطوريته. وتذكر نفلنسكي أن بالمرستون كان قد عرض على السفير البريطاني في القسطنطينية اقتراحاً كهذا فقوبل بالفرض، وأنه إنما جاء إلى أوروبا لمهمة اخرى هي مقابلة زعماء الأرمن والتفاوض معهم.

لاحظ هيرتزل تردده وسأله: «ما الذي يدور في خلدك؟» فاطلعه نفلنسكي على مهمته. قال هيرتزل أن اليهود يستطيعون المساعدة في هذه القضية ايضاً. بنفوذهم قد يتوصلون إلى تسوية، وعلى كل حال تستطيع صحفهم أن تحسن سمعة السلطان كثيراً. أجاب نفلنسكي بأن معظم زعماء الأرمن أصدقاء شخصيون له، وأنهم يريدون أن يضربوا ضربتهم في يوليو لهذا امكن تأخيرها شهراً قد يتوصل إلى اقتناع زعماء الأرمن بالدخول في مفاوضات مع السلطان فيعود عليه ذلك بربح. فهم هيرتزل قوله وقال له: «ولكن القضية اليهودية ستعود عليك بربح أكثر كثيراً من القضية الارمنية. لا علاقة لي شخصياً بالمال ولكن سأوصي بك، طبعاً، رجالنا الاغنياء».

هنا تذكر نفلنسكي ثروة روتشيلد الهائلة التي تحول الثروة الصناعية كما كان آل دي مديشي وآل فوجير يعولون النهضة الاوروبية. وتخيل أكوام الذهب امامه. فوافق على مرافقته إلى القسطنطينية بعد عودته من لندن في شهر يونيو.

عاد نفلنسكي إلى فيينا دون أن يتوصل إلى اتفاق مع زعماء الأرمن. وقابل هيرتزل في ٩ يونيو ١٨٩٦، فاتفق الاثنان على الالتقاء في محطة بودابست في القطار الذاهب إلى القسطنطينية.

بعد رحلة دامت يومين وصل القطار إلى محطة اسطنبول. فطلب نفلنسكي عربة اخترقت بهما شوارع المدينة إلى فندق رويال المطل على مياه القرن الذهبي اللامعة.

أول راع فكر هيرتزل في اختياره هو السلطان العثماني الذي كان يسيطر على البلد الذي أراده الصهيونيون. عرض عليه ما اعتبره صفقة ملائمة وهي ان اليهود سيصيرون، مقابل فلسطين، حلفاء، وكحلفاء سيقدمون له العون في ثلاثة مجالات: المالون اليهود كسير صمويل مونتاج يساعدون بالمال. لقد وجدت ديون الامبراطورية العثمانية في ١٨٨١ بمبلغ ١٠٦ ملايين جنيه. ووضعت ادارتها في ايدي هيئة تمثل

جماري الأخره ١٤٠٩ هـ - الموافق كانون الثاني

## تحقيق حلم هيرتزل

لبريطانيا. ان نواة من اليهود الذين يتكلمون الالمانية  
ستقوي نفوذ المانيا في الشرق الاوسط. وستكون ايضاً  
حاجزاً في وجه الجموع الآسيوية التي كان القيصر  
(مخترع عبارة «الخطر الاصفر») يخشاها كثيراً.

وصل هيرتزل والقيصر إلى فلسطين.

كانت مدينة باقا العربية متهمسة. اطلقت المدافع  
ترحيباً بالعاهل الأوروبي الوحيد الذي كانت سياسته  
المحافظة على الإمبراطورية الاسلامية لا تعطيمها. كان  
الناس متحمسين، مستطعين، متخوفين. جاء القيصر في  
الظاهر لتكريس كنيسة بروتستنتية جديدة في القدس.  
ان العرب حساسون فيما يتعلق بالدوافع الخفية حتى  
لو لم يكن لها وجود، وقد شعروا الآن بحق ان الحاكم  
الالمانى إنما جاء لاسباب سياسية. لقد أقب السطان في  
مناخه في كريت قبل عامين وحضر لأخذ المكافأة. اراد  
ان يكون لالمانيا حق في الشرق الاوسط. ان الترحيب  
الفريد الذي قوبل به في القسطنطينية أبهجه كثيراً  
فقبل وجنة السطان الذي كان راضياً ومدهولاً في ان  
واحد.

ان هيرتزل، كالقيصر، لم يحضر إلى فلسطين لاسباب  
سياحية، لزيارة الآثار القديمة ورؤية الاهالي (الذين  
كان عددهم نصف مليون، أو نحو سكان قبرص في سنة  
١٩٧٠، معظمهم من العرب المسلمين)، وإنما حضر  
لهمة مستعجلة.

اراد ان يزور «ميكنا اسرائيل»، أول مدرسة زراعية  
انشئت بأموال روتشيلد، ومستعمرة ريشون زيون (عيون  
قارة)، فقد كان في فلسطين ثمانى عشرة مستعمرة  
زراعية يسكنها نحو ٤٥٠٠ يهودي، ولكنه لم يجد عربة  
تنقله إليهما. كان مستعداً على الرغم من الحر الشديد  
ان يذهب على ظهر جواد. ولكن طبيياً روسياً صهيونياً  
قدم له العربة اللازمة لذلك.

قطع هيرتزل هذه المسافة ليقابل القيصر في مهمة  
رسمية. لقد اصبحت الصهيونية قوة بعد نشر كتاب  
«دولة اليهود»، وعقد في بازل سنة ١٨٩٧ أول مؤتمر  
صهيوني نظم الحركة، ثم عقد المؤتمر الثاني سنة  
١٨٩٨ فأسس الأمانة الاستعمارية والصدوق الوطني  
لشراء الأرض في فلسطين.

غرانديوق بلان. قال له هيرتزل: «نحتاج إلى حمام،  
والحماية الالمانية يرحب بها اكثر من غيرها». والثاني  
هو السفير يولنبرج. قال له: «إن حركتنا موجودة، واني  
لا توقع ان تزهدا إحدى الدول الكبرى. فكرت أولاً في  
انجلترا، وذلك امر طبيعي، ولكنني أكون أكثر سروراً لو  
كانت المانيا».

كان الرجلان من اصحاب النفوذ. فالغرانديوق قريب  
القيصر، بينما يولنبرج يعرف جميع المسؤولين الالمان،  
فقد رتب لهيرتزل في أواخر سبتمبر مقابلة مع فون بولو،  
وزير الخارجية. اخرج هيرتزل بمقابلة وزير الخارجية،  
وما دار بينهما كان حديثاً عادياً أكثر منه بحثاً جاداً،  
ولكنه ذكر ناحية في الصهيونية قد شرّف فون بولو  
المحافظ وهي الناحية المضادة للاشتراكية. حاول ان  
يبرهن بصورة فيها من الوقاحة أكثر من الحقيقة وهي  
ان مصر التي استعبدت اليهود كانت دولة اشتراكية.  
وقال: «ان وصايا موسى العشر خلقت مجتمعاً فردياً».

قابل فون بولو هيرتزل مرة أخرى، وقد تمت المقابلة  
هذه المرة في برلين، وحضرها المستشار الالمانى الامير  
هوهنلو. كان الحق قد تغير. شعر هيرتزل، من اسئلة  
المستشار، أنه ضد السامية. سأل: «هل سيترك يهود  
برلين الاغنياء البورصة ويتبعه؟ كم من ارض  
السultan يريد؟ حتى بيروت في الشمال ام ابعد من  
ذلك؟» اجاب هيرتزل: «سنطلب ما نحتاج إليه. كلما زاد  
المهاجرون زاد طلب الارض. طبعاً ستعترم حقوق  
الملكية الخاصة، وستشتري الارض من اصحابها  
الحاليين».

- «من اولئك»-

- «العرب، اليونان، خليط كبير من الشرق»-

حاول هيرتزل المراوغة حين سألته المستشار عن  
موقف السلطان، وانكر فون بولو ان يكون السفير  
الالمانى في القسطنطينية قد ذكر ان الموقف العثماني  
ملائم. وأخيراً اتفق على ان يقدم هيرتزل مذكرة في  
القسطنطينية، ولكن برود فون بولو افسد تفاؤله.

حصل هيرتزل في القسطنطينية على موعد لمقابلة  
القيصر سراً، وكان هذا الاخير مقيماً في بلدن. وقد  
ارتفعت معنويات هيرتزل حين وافق القيصر على مقابته  
في فلسطين على رأس وفد صهيوني رسمي، فاشترى في  
الحال تذكرة سفر إلى الاسكندرية على ظهر الباخرة  
الروسية «الإمبراطور نيقولا الثاني». لا بد ان يعلن  
القيصر شيئاً لصالح الصهيونية عرف هيرتزل ما  
يقدمه له مقابل ذلك: ان يلوح له بالنعونة التالية كما لو  
للسلطان. بل بشيء يلازم ذوق «إمبراطور حاسد

جمادي الآخرة ١٤٠٩ هـ - الموافق كانون الثاني ١٩٨٩ م

## السببية (٤)

بعد بيان معنى السببية لغة وواقعاً وبينان علاقتها  
بالتقضاء والقدر والتوكل والعلم والكتابة والقدرية  
الغيبية بقي سؤال واحد وهو ما هو الحكم الشرعي في  
السببية؟



عليهم والتابعين وتابعي التابعين من بعدهم لم ينجزها  
اعمالهم بغير طريق السببية أي عن غير طريق ربط  
الأسباب بمسبباتها والشارع لم يبين طريقاً آخر غير  
ذلك لانتجاز الأعمال في الحياة الدنيا. ولذلك فإن ما قام  
به المسلمون في مصر في العصر الهابط من قراءة صحيح  
بخاري في الوقت الذي دخلت به خيول نابليون الجامع  
الأزهر مخالفت للسنة واجماع الصحابة وفيه اسم كبير  
وهو توأكل وعدم أخذ بالأسباب. والدليل الثالث على  
وجوب السببية هو من باب وجوب طاعة الشارع، إذ  
أن طاعته فرض وهي تتمثل في السعي والتحري  
لتحقيق ما طلب، إذ أن طاعة الشارع في تحقيق الفرض  
فرض وطاعته في تحقيق المنسوب فرض وطاعته في  
تحقيق المباح فرض فالشارع حين طلب القيام بالعمل  
إنما طلب تحقيق هذا العمل، والامتنال لطلبه عن طريق  
السعي لتحقيق ما طلب واجب الطاعة. أما ما يترتب  
على تحقيق العمل من ثواب أو عذبه فهو يعود للشارع  
يوم القيامة ولا شأن لقاعدة السببية في ذلك. فالشارع  
في طلبه القيام بالعمل يكون قد طلب السعي لتحقيق  
هذا العمل بالتحري عن ما يوصل إلى هذا العمل.  
فالامتنال لطلب الشارع من أجل القيام بالعمل يظهر  
من التحري فيما يوصل إلى هذا العمل. وعدم  
التحري لما يوصل إلى القيام بالعمل هو عدم امتثال  
طلب الشارع في القيام بالعمل، بل هي مخالفة لطلب  
الشارع. فالتحري عن ما يوصل إلى العمل واجب من  
باب وجوب طاعة أوامر الشارع. فطلب العمل طلب للتحري  
عن ما يوصل إلى هذا العمل أي الأخذ بالأسباب  
وتحقيق قاعدة السببية. فمن الواجب أن نتحري عن  
الأسباب المؤدية إلى قيام العمل سواء ترتب على إنجاز

والجواب هو أن السببية فرض فرضه الله مثل باقي  
الفروض كالجهاد والصلاة والزكاة وغيرها. والدليل على  
ذلك قوله عليه السلام «اعقلها وتوكل» ووجه  
الاستدلال من الحديث هو أن صيغة الأمر في قوله  
اعقلها تفيد الطلب الجازم لأن حكم التوكل فرض  
وأدلته مستفيضة في ذلك منها قوله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ  
فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ وقوله: ﴿وَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى  
اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ وقوله: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى  
الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ﴾ وغيرها من  
الأدلة الكثيرة: فهذه الآيات وغيرها قطعية الدلالة على  
وجوب التوكل على الله فإنها أمر صريح بالتوكل على الله،  
واقترنت بقرينة تدل على الجزم، وهي مدحه تعالى  
للمتوكلين في كونه يحبهم، فبالإضافة إلى أن حكم  
التوكل فرض في الحديث «اعقلها وتوكل» كذلك فإن  
إبر العطف مع ما تعنيه من الجميع المطلق فإنها تفيد  
اشتراك العطف والمعطوف عليه في الحكم. وعليه فإن  
الأمر في اعقلها طلب جازم أي أن السببية فرض فرضه  
الله تعالى. والدليل الأخر على فرضية السببية هو عمل  
الرسول في إنجازه لأعماله وسعيه من أجل تحقيقه  
لأهدافه ومقاصده: فلم يطلب النصر في معركة من  
المعارك بدون أعداد السلاح ولم يطلب تغيير المجتمع  
بدون التفاعل معه بالصراع الفكري الحاد ولم يطلب  
الحكم بدون أهل السلطة أي أهل النصرة ولم يفتح مكة  
بدون أعداد الجيش والاستعداد للقتال. ولم ينتشر  
الإسلام بدون الجهاد. فمن تتبع حياة الرسول اليومية  
نجد أنه لم ينجز أعماله بدون ربط الأسباب بمسبباتها.  
بغض النظر عن كون هذه الأعمال تدخل في باب الفرض  
أو المنسوب أو المباح، كما أن الصحابة رضوان الله



لاتجازها جرياً مع قوانين الطبيعة وسنن الكون. فلذا سار مع هذه القوانين والسنن فهو مطبق العمل لا محالة، ولكن إذا سار باتجاه يماكس هذه القوانين والسنن فلن يتحقق له ذلك. لقد مر وقت كان به الصعود إلى سطح القمر شيء يبدو مصحلاً ولكن عندما تم ربط جميع الأسباب بمسبباتها الربط الصحيح رأينا هذا الهدف يتحقق بأم أعيننا. وبات الصعود إلى باقي الكواكب والتحول فيما بينها أمر ممكن التحقيق مع مرور الزمن. ولذلك كان على الإنسان المبدئي العاقل المفكر أن لا ييأس من تحقيق وإنجاز أي عمل مهما بدا له صعباً، ولا يجوز المسلم أن يستسلم للواقع واليأس والوصول. وما هذا اليأس والاستسلام أن حصل إلا ضعف في الإيمان ونتيجة لعدم القدرة على معرفة الأسباب وربطها الصحيح بمسبباتها. ويجب أن يكون فضل المؤمن حافظاً له على استئناف المحاوله لا متبطاً له. إن يكون قد عرف الأسباب التي غفل عنها وسببت الفشل. فلا بد وأن يستأنف المحاولة بعد الأخرى إلى أن يصل إلى النجاح. وما قيل من أن «على المرء أن يسعى وليس عليه ادراك النجاح» إن هو إلا قول خاطيء والصحيح هو «على المرء أن يسعى لأدراك النجاح» من هذا كله نرى أهمية الحاجة إلى الإرادة الحديدية أي إرادة المسلم المؤمن التي لا تلين ولا يتطرق إليها الملل أو الكلل أبداً مهما كانت العقبات والصعوبات. فكل الأعمال المادية يمكن تحقيقها طالما أخذنا بالأسباب وصبرنا مع قوانين وسنن الحياة؛ ومن هنا فإن السبب في فشلنا لإنجاز أي عمل هو في عدم معرفة جميع الأسباب وعدم ربطها الربط الصحيح بمسبباتها. ونحن نضع استئناف الحياة الإسلامية بإقامة الخلافة الإسلامية أمام أعيننا فهو هدف ممكن التحقيق إذا أخذنا بالأسباب وهو هدف في واقعه مع سنن الحياة لا عكسها وقد سبقنا إلى ذلك أبو القاسم عليه السلام فلقام الدولة بآرائه الحديدية ورأيه المتواصل وعزمته التي لا تلين وذلك بعد أخذه بالأسباب. فتعدية لقريش في عقر دارها وصراعه معها، وبطشه وشمريه عن أهل النصر، وبيعة العقبة الأولى والثانية، وأرساله لمصعب إلى المدينة، وهجرته إليها، كل ذلك أخذ بالأسباب. فعين تقوم وتلبس بالعمل لإقامة الدولة الإسلامية بعد التوكل على الله لا يجوز أن يتطرق إلى نفوسنا أي شكهما كان ضئيلاً في إمكانية تحقيق الهدف، بل يجب أن نضل مهلبي مستبشرين بنصر الله وإفضاء لنصره ورسوله والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد» صدق الله العظيم.

تواب في حالة الفرض والمندوب أو لم يترتب عليه ثواب في حالة المباح، فتحقيق السببية فرض بغض النظر عن حكم العمل، إذ أن حكم السببية شيء وحكم العمل من حيث الثواب والعقاب شيء آخر. فحكم السببية أن من وجوب حكم الطاعة وحكم العمل أن من دليله وهو أحد الأحكام الثلاثة أي الفرض والمندوب والمباح. والفرق بين الفرض من جهة وبين المباح والمندوب من جهة أخرى هو أن إنجاز الفرض هو المطلوب، أي إتصافه، وعدم إتصافه يترتب عليه أثم في حالة القدرة أما المباح أو المندوب فإن عدم إتصافه لا يترتب عليه أثم مع القدرة. وهكذا فإن طلب القيام بالعمل من الشارع هو طلب تحقيق العمل وإلا لا معنى لطلب الشارع، وطلب تحقيق العمل هو طلب تحقيق السببية. فلذا أراد المسلم تحقيق فرض فرضه الله تعالى عليه يجب عليه أن يسعى إلى معرفة جميع الأسباب ويجب عليه أن يربطها جميعها ربطاً صحيحاً بمسبباتها؛ فإذا قام بخلاف ذلك لا يكون قد حقق السببية أي يكون قد وقع في التواكلية ويكون أثمناً في قصيره. وإذا أراد المسلم القيام بالمندوب أو المباح فعلياً أن يسعى لتحقيق المندوب أو المباح عن طريق السببية أي يربط الأسباب بمسبباتها ولا يكون أثمناً.

ولا يخلل أن القاعدة الشرعية هي «ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب» ومعناها يمكن القول «ما لا يتم المندوب إلا به فهو مندوب» وما لا يتم المباح إلا به فهو مباح. لا يقال ذلك لأن المسألة ليست في البحث عن حكم الفعل الذي لا يتم إلا به الفعل المشرع، بل المسألة هي في البحث عن حكم الوسائل والأساليب والطريقة التي يتم بها أداء الفعل بحيث تؤدي هذه إلى قيام الفعل وحصول النتائج؛ فالنصر والشفاء من المرض والنجاح في امتحان مثلاً هي عبارة عن نتائج وليست أعمالاً حتى يمكن القول بتطبيق القواعد عليها؛ فالبحث في حكم أساليب ووسائل وطريقة الحصول على النصر أو الشفاء من المرض أو النجاح في الامتحان؛ أي في حكم ربط الأسباب بمسبباتها هذا مع العلم بأن القواعد الخاصة بالمندوب والمباح غير صحيحة فمثلاً الصدقة مندوب ولا تتم إلا بالمال فلا نقول أن حكم المال مندوب لأن المال قد يكون مصروفاً أو مال رباً. وكذلك الصناعة أو الزراعة فإنها مباح ولا تتم إلا بالمصنع وباللادة المزروعة فلا نقول أن المصنع مباح لأن الصناعة مباحة والمادة المزروعة مباحة لأن الزراعة مباحة. لا، لا نقول ذلك لأن المصنع يأخذ حكم المادة المصنوعة، والمادة المزروعة قد تكون حشيشاً فتكون حراماً.

ويمكننا القول بأن إنجاز الأعمال المادية كلها هو بمقدور الإنسان بشرط أن يكون سلوكه وسعيه

قال ﷺ: «من أصبح ولم يهتم بأمر المسلمين فليس بمسلم».

## قيل خلال المؤتمر العالمي الأول لدعم الانتفاضة»

نشرت مجلة الشراع في عددها  
رقم ٢٥٢ ما نصه:

«رأى أحد المؤتمرين في فندق  
الكارلتون أن لديه ما يبث أن ثبو  
عمار ياسر عرفات المتصرف بالقضية  
ال فلسطينية ليس أبو عمار ولا ياسر  
عرفات، إنه المدعو محمد عبد  
الرزوق القدوة المغربي الأصل الذي  
جاء والده إلى فلسطين وتزوج في  
القدس ثم رهل إلى مصر وتزوج فيها  
ثانية بعد أن أودع أولاده لدى  
الحاج أمين الحسيني، ثم التحق به  
الأولاد بمن فيهم محمد (ياسر  
عرفات) بعد زواجه الثاني، وبعد  
تحقيق ميداني أجرته بعض قيادات  
الرفض الفلسطينية تبين أن عبد  
الرزوق القدوة والد عرفات كان  
يعيش في الحي اليهودي بمراكش،  
ولم يثبت ما إذا كان هو نفسه  
يهودياً، وهو سر تعاطف ملك المغرب  
الدائم مع عرفات سياسياً في  
القضية اليهودية والسكاسة  
ال فلسطينية».

## محاكمة اللباس الشرعي في تركيا

ما زال حكام تركيا العلمانيون  
يكيدون للإستيم وأهل، فبعد ان  
رضخت الحكومة في تركيا، منذ  
حوالي العام تقريباً، لطلاب المسلمين  
بالسماح للفضائيات المسلمة، من  
الدخول إلى الحرم الجامعي باللباس  
الشرعي، فقد عادت الحكومة الكافرة

## «هذا بيان للناس»

### هل تزول إسرائيل ببعض (المستسلمين)؟.

خلال يومين لفظت ثلاث إسرائيل ستة مقاتلين ممن يسمونهم (مستسلمين)،  
ثم أفرقت الأمواج البحرية ثلاثة آخرين، فأصبح المجموع تسعة. ثلاثة  
منهم سقطوا قرب خطوط التماس المصرية الإسرائيلية وثلاثة في شمال  
فلسطين، والثلاثة الآخرون سقطوا بعيد انطلاقهم من شاطئ الدامور حيث  
أفرقتهم الأمواج. وأسنا بحاجة إلى التذكير بأن قتال اليهود فرض شرعاً حتى  
يتزل كيانهم وتظهر بلاد المسلمين من دنسهم، وكل أعمال التعرض والمخوشة  
والقتال أو (التسلل) تصب في هذا الإطار بحيث تبقى جذوة العداة لليهود  
مشتعلة، وتؤكد أن أصحاب الحق لم يناسوا عن حقوق المغتصب وأن الكيان  
المصطنع مرفوض من كل محيطه، كل ذلك جيد ومقبول، لكن السؤال الذي  
يود هو: لماذا الإكتفاء ببعض المقاتلين (المستسلمين) لمقارعة دولة اليهود التي  
تملك الجيش النظامي المجهز بكامل أسلحته، بينما تبقى جيوشنا ترى  
وتسمع كل ما يدور حولها وأبىس لها حراك وكان الأمر لا يعنيها؟ وهل تزول  
إسرائيل وتتخلى من جذورها عن طريق (تسلل) بضعة أفراد مصروف سلفاً  
أنهم سينسقطون قرب الحدود وقبل الوصول إلى المستعمرات اليهودية؟ إن  
من يرسل هؤلاء المقاتلين يعرف تلك جيداً ولكنه يريد كطف ثمار سياسية  
لعمليات (التسلل) ومن تلك الثمار المبيع الدول والانتفاضة المولدة والمدرية.  
فيسقط العشرات والمئات لتبيض وجوه البعض وليس لقلع إسرائيل من جذورها.

فيا جملعير (المستسلمين)! تسلبوا إلى القصور وإلى مخازن السلاح وإلى  
وساقل الإعلام واقتربوا رأساً على عقب تصلون إلى القدس جهراً نهراً  
ودون حيلة إلى شمال ومسلمين تحت جناح الظلام، واعلموا أن إسرائيل لن  
تزال طالما بقي هكذا زعناء وهكذا حكام، ابدأوا بهم أولاً وهذا كقبيل  
بالفضاء على إسرائيل في الخطوة الثانية، لأن واقعهم أنهم حراس أمناء على  
مصالح الغرب ومن تلك المصالح بقاء كيان اليهود في قلب العالم الإسلامي.  
أيها (المستسلمون): اعلموا أن كيان إسرائيل إلى زوال وعلى يد المسلمين  
الملتزمين بكتاب الله وسنة رسوله صل الله عليه وسلم، وأنه سيأتي يوم يذن  
الله تعالى فيها بلاد المسلمين في فلسطين لتكون جزءاً لا يتجزأ من العالم  
الإسلامي ومن الدولة الإسلامية الواحدة ولن يبقى حينها أثر لليهود الأنجاس  
شذاذ الأفاق ويومها لن تنفعهم عنجبية شامير ولا خبث بيريز



## الحاجة بنازيراً!

لم يرض المسلمون «الحاج أنور» الذي حج إلى القدس قبل أن يعرج إلى بيت الله الحرام، ولا غيره من حكام العالم الإسلامي، الذين يعارون دين الله جهاراً نهاراً دون هوانة ويتصعدون بدين الله بزيارتهم لكفة المكرمة للصحف أو العمرة ويصرون المساجد أيام العيدين لأداء صلاة العيد (لا لوجه الله بل لوجه كاميرات التصوير).

هذه بنازير بيوت الكنيسة العاربة، التي عصت الله بتوليها منصباً حرمه الله عليها تريد أداء العمرة إلى بيت الله الحرام. فقد صرح وزير الشؤون الدينية بباكستان (خان بهادور) لدى عودته من زيارة قام بها إلى السعودية أن بنازير بيوتها قطعت على نفسها عهداً حين توليها رئاسة الوزراء في نوفمبر الماضي، بأن تكون أول زيارة خارجية لها إلى الأراضي المقدسة وأداء شملائر العمرة!!

وقد عقدت مجموعة من العلماء في روالبندي إجتماعاً دعوا فيه إلى مظاهرات احتجاج يوم ٢٠ ديسمبر الماضي، على تولي امرأة مهام الحكم في باكستان وضرب أحكام الإسلام لمنع المرأة من تولي شؤون الحكم عرض الحائط.

وأعلن بيان صدر عن المجتمعين أنه سيعقد في شهر كانون الثاني مؤتمراً يضم خمسة آلاف من العلماء بحثي جميع المذاهب الإسلامية لاتخاذ موقف موحد إزاء هذا المنور وبدء نضال لإبطاله...

وبعض المدن الأخرى فقد بلغ عدد المعتقلين حوالي ٥٠٠ شخص. أما شيخ الأزهر فقد هاجم ما أسماه «التطرف الديني» وهاجم ما أسماه «استخدام الإسلام لزرع الفوضى» وطلب الشيخ جواد الحزوة من السكان مساعدة السلطات على «وقف انتهاك الحرمات وضرب الذين يروهون النساء والاطفال... وأن يتجنبوا المساجد حيث يعمل المتطرفون على زرع الفوضى والتصدع». ولا فرابة في تصريحات جواد الحق فهو موظف لدى النظام ويعمل لإطالة عمره وتثبيت أركانه.

## فتح المعبر لماذا؟

عندما اقتبل ميشال عون معبر المتحف الذي يصل بيروت الشرقية ببيروت الغربية، قامت قيادة أهالي المنطقة الشرقية وتصارها، وطالبوا بإعادة فتح المعبر. واستجاب ميشال عون للضغوطات التي مورست عليه وفتح المعبر. ولكن هل هناك شخص سأل نفسه لماذا فتح المعبر؟

فقد تبين أن من أسباب فتح المعبر، هو أنه جاء في وقت تعيش فيه المنطقة الشرقية من بيروت التحضررات للسهرات الماجنة في ليلى الميلاذ ورأس السنة. ومن العادة أن أغلبية من يرتاد هذه الملاهي والكازينوهات في بيروت الشرقية هم من أبناء المسلمين القاطنين في بيروت الغربية وهم الذين عادة يعمرونها ويحيون لياليها، فكان إقفال المعبر سيشكل خصاصة ضخمة لأصحاب الملاهي والكازينوهات في بيروت الشرقية فلذلك مارسوا شتى أنواع الضغوطات من أجل فتحه!!

إلى غيرهما وكيدها إذ منعت الجامعات ومنذ حوالي الشهرين الفتيات المجليات من الدخول إلى حرم الجامعة باللباس الشرعي.

وأفادت الأنباء، أنه بالرغم من مرور أكثر من شهرين على افتتاح الجامعات في تركيا، إلا أن الفتيات المسلمات المحجبات مازلن خارج الجامعة، لا يستطيعن الالتحاق بدروسهن حتى يخلعن اللباس الشرعي.

## يهودي يذبح ابنته لأنها أشهرت إسلامها

«الرجل نشد النفس عداوة للدين آمنوا اليهود والسنيين فتركوا» قام أحد اليهود المهلجيين بطبخ ابنته البالغة من العمر ١٧ عاماً لأنها تجرات على إعلان إسلامها رغماً عن إرادته.

وذكرت مجلة (العالم) نقلاً عن صحيفة «هاعولام هازيه» اليهودية أن والدة الفتاة وإخوانها الأربعة واختين لها قاموا جميعاً بمساعدة والدهم على تقييدها ليقيم يذبحها بالسكين كما تذبح الشاة.

## الأزهر والنظام المصري حليفان ضد تملل المسلمين

استقر النظام في مصر في ملاحقة واعتقال الطلبة المتدينين في أسبوط بحجة أنهم قاموا بتوزيع بيانات تهاجم الحكم وبالأخص حسني مبارك ووزير داخلية زكي بدر. وأصبح عدد المعتقلين خلال شهر حوالي ٢٠٠ طالب، أما في القاهرة

# أثر البيئة في السلوك الانساني

محمد محمد البلقش

وبعد تكاثر الإنسان أو ما يسمى بالنمو الديموغرافي ونشوء الأبوة والأمومة والعمومة والخزولة وغير ذلك من مظاهر العلاقات الاجتماعية يبدأ يحصل التباين في العلاقات والاختلاف على المصالح مما أدى إلى الصراع الدموي بعد تفاعل الحضارات في صراع فكري دائم وصار لكل جماعة بيئتها الجغرافية وتصوراتها عن الوجود، ثم توسعت في ذلك لتضم جماعات أخرى من نفس قوم الجماعة الأولى، وتوسعت أكثر لتشمل غيرهم حتى صارت شعوباً وأممًا متميزة بعقائدها وأفكارها وحضاراتها، وكان لهذا الاجتماع الطويل ضمن البيئة الجغرافية أثر قومي في تمركز المفاهيم أدى إلى تبادل العلاقات والمصالح وفقاً مما أكسبها العراقة حتى تشكلت في كثير من البيئات الإنسانية في شكل تقاليد وأعراف وعادات أثرت بدورها في مجموع الذين يعيشون في محيطها، فكان أن أثرت في سلوك الإنسان إما تقليداً ومحاكاة وإما وعياً.

وحين يقال عن البيئة الإنسانية بأنها الوسط الاجتماعي الذي يعيش فيه الإنسان يجب أن لا يفهم منها الاجتماع لأن الاجتماع لا يكون إلا مؤقتاً أو دائماً، والاجتماع المؤقت وإن ترتب عنه بعض تبادل المصالح إلا أنه يتلاشى بمجرد الانتهاء من الاجتماع.

والاجتماع غير المؤقت يرتب عنه أيضاً تبادل المصالح في شكل علاقات دائمية ولذلك يجب أن يفهم من الوسط الاجتماعي أنه عبارة عن مجموعة من الناس توحدت بينهم الأفكار والمشاعر والانظمة في شكل مجتمع متميز عن غيره بتميز الأفكار والمشاعر والانظمة، ومن هنا كان الوسط الاجتماعي في أصله فكر معين يبناه إنسان ما ثم نقله إلى غيره فحصل له

البيئة والمباة لغة المنزل، الحالة، رجل حسن البيئة، حسن الحالة. وقد اصطلح على استعمالها للوسط الإنساني فيقال البيئة الإنسانية، أي الوسط الاجتماعي الذي يعيش فيه الإنسان، ويقال بيئة السمك أي الوسط الذي يعيش فيه، وبيئة الحيوانات أي الوسط الذي تعيش فيه وهكذا.

وما يجمعنا في بحثنا هذا هو الإنسان لأنه بحكم طبيعته الاجتماعي نحتم عليه أن يتبادل المصالح والعلاقات مع غيره ضمن بيئة أو وسط اجتماعي يتواجد فيه. وهو إذ يتبادل العلاقات ويختلف على المصالح ويتصارع على الحضارات كان لكل قوم أو شعب أو أمة وسطها وبيئتها الاجتماعية الخاصة بها مما أدى إلى التباين في البيئات وبالتالي في المجتمعات والدول. وبما يجدر ذكره أن أي اجتماع للناس في أي مكان دون وحدة الأفكار ووحدة المشاعر ووحدة النظام لا يكون إلا اجتماعاً فقط ولا يعبر عن أي شيء غير الاجتماع ولو كان فيه بعض من تبادل المصالح التي تحتتم حاجات الإنسان العضوية والغريزية كما هو الشأن في المسافرين جمعياً كركاب البحر مثلاً.

فالبيئة الاجتماعية والوسط الاجتماعي يكون معناهما واحد عند الأخذ بعين الاعتبار عنصر العلاقات الدائمة دون اعتبار للبيئة الجغرافية لأن ذلك من باب تحصيل الحاصل وإلا لكان اعتبار كل تجمع للناس بيئة ووسطاً اجتماعياً وهذا غير صحيح ما دام يفتقر في اجتماعهم عنصر العلاقات الدائمة، غير أنه لم تنشأ بيئة اجتماعية إلا عند اجتماع الإنسان بأخيه الإنسان نظراً لحاجته إليه، ونظراً لطبيعة سبكه إلى جنسه.

والناظر إلى هذه البيئات يجد أنها قد قضت زمناً معيناً لا يهمنها طوله أو قصره ولا يهمنها منه الجيل الذي يساهم في إنشائها بقدر ما يهمنها الجيل الآتية والثالث والرابع الخ، لأن الجيل الأول كان هو المصدر لنشوء البيئة الجديدة من خلال صراعه وكفاحه لإقامتها وهو إذا أقامها لم يشهد لانكساره العرافة والتمركز اللذان يؤثبان إلى نشوء العادات والاعراف والتقاليد الناشئة عن طول مدة حياة الأفكار في الناس والمجتمع ولذلك لا ينظر إلى مدى أثر البيئة في سلوكه لأنه هو الذي صنعها حين ناضل من أجل سيادة الأفكار وتجميعها في واقع الحياة

فالأجيال التي تخلف الجيل الأول هي التي تنشأ فيها العادات والتقاليد والاعراف وحين تنشأ هذه الأخيرة فإنها ليست سوى أفكاراً ومفاهيم في أصلها، وما دام السلوك الإنساني يرتبط حتماً بالمفاهيم فلا غرابة في القول بأن البيئة تؤثر في السلوك الإنساني سلباً أو إيجاباً ما دامت في أصلها فكر.

التداول حتى شمل قدراً من الناس قلوباً أو كسرواً جمعت بينهم هذه الأفكار في مكان ما من الأرض فشكروا بفكرهم الموحد ورضاهم وغضبهم المشترك ونظام حياتهم العامة بهمة ووسطاً.

وإذا نظرنا إلى أية بيئة إنسانية من خلال أفكارها نجد أن كثيراً من البيئات بعد وجودها لعشرات السنين أو المئات قد تلاشت وانقضت ولا أدل على ذلك بيئة الشعب الرومي ببلاد الشام وبيئة الشعب الفارسي ببلاد فارس وبيئة الشعب العربي بالجزيرة العربية فقد كانت هذه البيئات مختلفة عن بعضها البعض باختلاف الأفكار والمفاهيم وحين جاء الإسلام غير البيئة العربية من وسط اجتماعي جاهلي إلى وسط اجتماعي إسلامي. ثم انتقلت الحضارة الإسلامية إلى خارج الجزيرة العربية فغيرت البيئات التي كانت قائمة ببيئتها هي إلى أن جاء الاستعمار الحديث فغير بدوره البيئة الإسلامية وأحل محلها بيئته هو والتي هي البيئة الرأسمالية، ثم لما ظهر المبدأ الاشتراكي بروسيا كان إيذاناً بولادة البيئة الاشتراكية على حساب القيصرية الاقطاعية وعلى حساب البيئة الإسلامية أيضاً.

## «صورة من التاريخ»

لثقف وقفة مع الحبيب صلى الله عليه وسلم في يوم الخندق الذي حفره المسلمون حول المدينة وبمشورة سليمان الفارسي رضي الله عنه ولم يستطع أحد أن يعبره إلا أحد كبار المشركين وهو عمرو بن ود وكان قوي القلب والبصر حتى أن نساء قريش كن يخفن أطفالهن باسم عمرو حتى ينام فقد عبر إلى معسكر المسلمين بفرسه ونادى بأعلى صوته يا محمد إنك تزعم أن قتيلكم في الجنة وقتيلنا في النار لقد اشتقت لدخول النار ليس فيكم من اشتاق لدخول الجنة فينازلي، فقام علي كرم الله وجهه لينازله فأوقفه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له إنك في زهرة شبابك، ويتأشد علي رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأذن له فيأذن له الرسول بعد إلحاح ويمطيه سيفه وعمامة يضعها على رأسه ودعا الله وقال يا رب إنك أخذت مني حمزة يوم أحد فاحفظ علياً هذا اليوم ويتقدم علي، ولما راه عمرو ابن ود قال من أنت؟

قال له: أنا علي ابن عم رسول الله، فقال الطاغية مستهزماً به: استصغرك فأرسلوك طعماً لبسفي، لماذا لم يرسلوا أحداً منهم فقال له علي بل أرسلوني إليك لأنني أقلهم شأناً وأنت لا تستحق واحداً منهم، إنه القول السديد، هكذا يقول علي، لم يقل: أنا أشجعهم أو أقدمهم، فقال له الطاغية العنيد: يا علي لقد كان أبوك صدقي وأنا لا أريد أن أقتلك فافجع أباك فيك، فقال له علي: أنا أريد أن أقتلك وافجع أباك فيك، ولكن يا عمرو لا أقتلك إلا بعد أن اعرض عليك ثلاث كلمات، فقال له عمرو: هات الأولى فقال علي أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فقال عمرو: والله لن أقولها ولو كان رأسي في قاع جهنم، فقال هات الثانية فقال علي حين ترجع ولا تقا تل رسول الله فقال عمرو: لو رجعت لقاتل الناس ضحكك عليك صبي صغير، هات الثالثة يا علي، فقال له: أما وقد أبيت أن تسلم وأبيت أن ترجع دون قتال فساقا تل وأنت راكب فرسك وأنا واقف على الأرض.

إنها الثقة بالله واليقين به وعمرو بن ود قد افتقرى وأمه قال: «ولقد خاب اليوم من افتقرى» ودارت البارزة وجميت حتى حمل علي رأس الطاغية عمرو على سيفه.

## سؤال

## جواب

### سؤال ١ :

العاصي كشارك الصلاة أو المتعاصم بالربا لو شارب الخمر أو المختسب إلى حزب غير إسلامي لو... هل تجوز مجالسته ومعاملته؟

### جواب ١ :

جاء في سورة الأنعام، وهي مكية، قوله تعالى: ﴿وإذا رايت الذين يمشون في أسيقتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره، وإما ينسفتك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء لكن ذكرى لعلهم يتقون﴾.

إن هذا الخطاب هو للرسول صلى الله عليه وسلم ولكل فرد من أمة الأمة لأن الخطاب له خطاب لأمة. والآية تفيد أن المسلم لا يجلس في مجلس فيه تكذيب بآيات الله أو استهزاء بها، فإذا حصل ذلك فعل المسلم أن يترك المجلس ما دامت ترتكب فيه المعصية. وإذا نسي المسلم ويجلس ثم تذكر أنه في جلسة يعصى فيها الله فعليه أن يتسحب حين يتذكر. والآية تقول بأن الغرض من انسحابه من جلسة الظالمين هو رفض لوقوفهم واعتراض عليهم لعلهم يتقون.

كان هذا في مكة ولم يكن المسلمون قد أمروا بعد بإزالة المنكر باليد.

ثم نزل قوله تعالى: ﴿وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفرون بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره، إنكم إذا مثلهم﴾ وهذه الآية من سورة البقرة وهي من أول ما نزل في المدينة. أي إنكم إذا ارتكبتم النهي بعد وصوله إليكم ورضيتم بالجلوس معهم في المكان الذي

يكفر فيه بآيات الله ويستهزأ بها وألترتهم فقد شاركتمهم في الذي هم فيه فلهذا قال تعالى: ﴿إنكم إذا مثلهم﴾ في الآيات.

وهذه الآية وإن كانت نزلت في المدينة، في حين كان المسلمون دولة، ولكنها لا تتضمن الأمر بإزالة المنكر باليد، وهي لا تزيد من هذه الجهة على ما تضمنته آية سورة الأنعام المكية. وقد وضع ابن كثير، رحمه الله، عنواناً لضمون الآية هو (من لم يزل المنكر فلنزل عنه). وهذا ما يفيد قول الرسول صلى الله عليه وسلم: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجلس على مسألة يدان عليها الخضرة. وحتى هذا حين لم تكن مجالسة العاصي ومزاكته ومشاربته منوباً عنها إلا في وقت ارتكابه للمعصية. ثم نزل قوله تعالى: ﴿فمن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وهيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون﴾ وهذه الآية في سورة المائدة وهي من آخر ما نزل من القرآن.

عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الرجل من بني إسرائيل كان إذا رأى أخاه على الخنزير نهاه عنه تعظيماً، فإذا كان من الغد لم يمنعه ما رأى منه أن يكون تكيله وظليطه وشريكه، وفي رواية: وشريكه، فلما رأى الله ذلك منهم ضرب قلوب بعضهم على بعض ولعنهم على لسان نبيهم داود وهيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يفعلون» ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

والذي نفسي بيده لتسامرن بالله عرفون ولنهورن عن النكر ولتأخذن على يد النبي ولتأطرنه على الحق أطراً أو ليضربن أله قلوب بعضكم على بعض أو ليعطنكم كما لعنهم.

آية سورة المائدة هذه لم تنسخ أية سورة الأتعام ولا أية سورة البقرة وإنما تضمنت أحكاماً جديدة بيّنتها أحاديث الرسول صل الله عليه وسلم المرافقة.

الأحكام الجديدة هي وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ووجوب إزالة المنكر باليد عند الاستطاعة، بينما كان المطلوب قبل ذلك اعتزال المجلس الذي فيه المنكر أثناء ارتكاب المنكر.

وهنا يأتي السؤال: هل تجوز مجالسة العاصي (والفاسق) ومؤاكلته ومشاريته في الأوقات التي لا يكون فيها يرتكب المعصية، أو إن هذه الأمور محرمة حتى يتوب؟ هناك من العلماء من قال: العاصي (والفاسق) من باب أولى لأن الفاسق هو العاصي الجاهر بمعصيته لا تصل مجالسته ولا مؤاكلته ولا مشاريته، لا في أثناء ارتكابه للمعصية ولا في غير ذلك حتى يتوب.

وهذا الرأي يقلني أن تكون أية سورة الأتعام وإية سورة البقرة المذكورتين سابقاً منسوختين، وليس الأمر

كذلك لأنهما إيهان محكمتان. إذ أن أية سورة المائدة لا تتضمن نسخاً لهما. والأحاديث لا تنسخ القرآن. فصار لا بد من الجمع بين الآيات والأحاديث.

والجمع يكون بأن تحمل أحاديث المجالسة والمؤاكلة والمشارية على الحالات التي يكون العاصي متبساً فيها بالمعصية، أو الحالات والمرافق التي يمكن أن يلهم منها الرضا أو عدم الاكتراث بارتكاب المعاصي.

فمثلاً أية سورة الأتعام وإية سورة البقرة ذكرنا حالة الخوض بآيات الله والاستهزاء بها، وحديث الرسول ذكر المائدة التي تدار عليها الخمر. ومثل ذلك إذا كان المسلم في طاعة فيها غيبة وتعمية وكتب وغش الخ...

أما إذا كان شخص تاركاً للصلاة أو يتعامل بالربا مثلاً، فهذا لا يصل للمسلم أن يتخذه صديقاً حميماً، لأن اتكائه صديقاً حميماً وهو على حاله من المعصية يعتبر قرينة على رضاه عن حاله.

وأما بقية المعاملات فإنه يجوز للمسلم أن يتعامل مع العاصي (والفاسق) ما دامت هذه المعاملات لا تشكل قرينة على رضاه عن العاصي

## سؤال ٢

في العدد ٦ السنة الثانية من مجلة الوعي جاء في كلمة الوهي عند الحديث عن مشكلة لبنان استشهد بالآية الكريمة: ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَرْبَابَهُمْ مُّوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى﴾ ويفهم من سياق الكلام في المجلة أن مودتهم قريبة للمؤمنين ولو ظنوا على نصرانيتهم. مع أن سياق الآيات يصفهم بذلك لأنهم خرجوا من نصرانيتهم وصاروا مؤمنين. نرجو الإيضاح.

## جواب ٢:

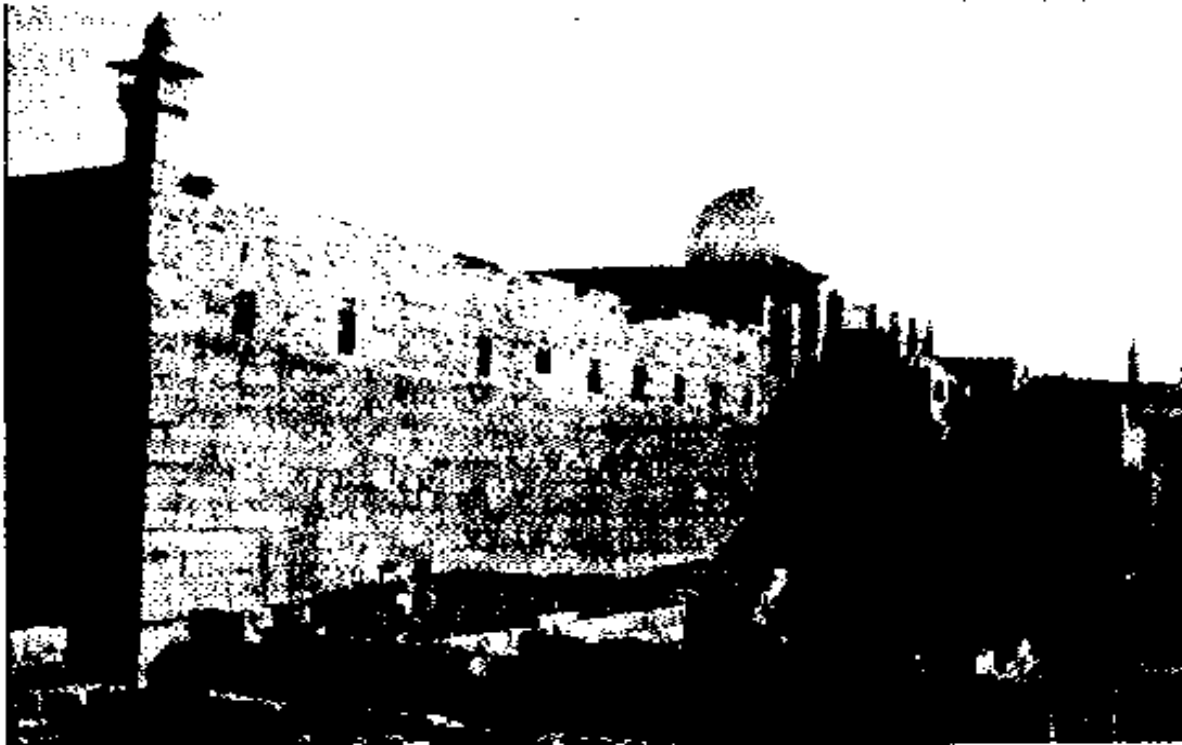
إن المدقق في سياق الآيات يجد أن صدر الآيات يتكلم عن النصارى في الجملة ثم ينتقل السياق ليتكلم عن نصارى معينين دخلوا في الإسلام. وأنا أنقل:

هنا عبارة تفسير ابن كثير يقول: [وقوله تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَرْبَابَهُمْ مُّوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى﴾ أي الذين زعموا أنهم نصارى من أتباع المسيح وعلى منهاج أنجيليه، فيهم مودة للإسلام وأهله في الجملة وما ذاك إلا لما في قلوبهم إذ كانوا على دين المسيح من الرقة والرافة كما قال تعالى: ﴿وَجعلننا في قلوب الذين اتبعوه رافة ورحمة ورحمة ورحمة﴾ [فذكر النصارى جاء في مقابلة ذكر اليهود والمشركين، وبنا ذكرت الآية في أولها شدة عداوة اليهود والمشركين، في جملتهم، للمسلمين، ذكرت بعد ذلك المودة التسمية عند

النصارى، في جملتهم، للمسلمين، وتعلل الآية الكريمة بسبب هذه المودة النسبية: ﴿ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وانهم لا يستكبرون﴾ كما ذكر ابن كثير. ثم تنتقل الآيات بعد ذلك من الحديث عن النصارى جملة إلى الحديث عن نصارى معينين دخلوا في الإسلام، فالآيات تتابع: ﴿وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا إنما فتكتنا مع المشركين﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فألفنهم الله بما قالوا جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين﴾. فالاستشهاد الوارد في مجلة الوعي هو في محله، لأن استشهاد بالجزء من الآية الذي يتكلم عن النصارى جملة.

وهذا لا يعني أن جميع النصارى عندهم الرافة والرحمة، ولا يعني أن جميعهم قريبو المودة للمسلمين، لأننا نرى منهم اليوم كثيراً يفسدون عن الأخلاق الواردة في أتاجيلهم.

## العهد العُمري



أعطى عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، عهداً إلى نصارى القدس عند فتحها، وهو المعروف بالعهد العُمري، ونحن ننقل نصه كما جاء في تاريخ الطبري ج ٣/ص ٦٠٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ هَذَا مَا أَعْطَى عَبْدُ اللَّهِ عُمَرُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَهْلَ إِبِلْيَاءَ مِنَ الْأَمَانِ: أَعْطَاهُمْ أَمَاناً لَأَنْفُسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ، وَلِكَنَائِسِهِمْ وَصَلْبَانِهِمْ، وَسَقِيمِهَا وَبَرِيئِهَا وَسَائِرِ مِلَّتِهَا: أَنَّهُ لَا تَسْكُنُ كَنَائِسُهُمْ وَلَا تُهْدَمُ، وَلَا يُنْقَصُ مِنْهَا وَلَا مِنْ حَيْزِهَا، وَلَا مِنْ صَلْبِيهِمْ، وَلَا مِنْ شَيْءٍ مِنْ أَمْوَالِهِمْ، وَلَا يَكْرَهُونَ عَلَى دِينِهِمْ، وَلَا يَضَارُّ أَحَدٌ مِنْهُمْ، وَلَا يَسْكُنُ بِإِبِلْيَاءَ مَعَهُمْ أَحَدٌ مِنَ الْيَهُودِ، وَعَلَى أَهْلِ إِبِلْيَاءَ أَنْ يَعْطُوا الْجِزْيَةَ كَمَا يَعْطَى أَهْلُ الْمَدَائِنِ، وَعَلَيْهِمْ أَنْ يُخْرِجُوا مِنْهَا الرُّومَ وَاللَّصُوتَ (اللُّصُوتُ): فَمَنْ خَرَجَ مِنْهُمْ فَإِنَّهُ أَمِنَ عَلَى نَفْسِهِ وَمَالِهِ حَتَّى يَبْلُغُوا مَأْمَنَهُمْ: وَمَنْ أَقَامَ مِنْهُمْ فَهُوَ أَمِنٌ: وَعَلَيْهِ مَقْلٌ مَا عَلَى أَهْلِ إِبِلْيَاءَ مِنَ الْجِزْيَةِ، وَمَنْ أَحَبَّ مِنْ أَهْلِ إِبِلْيَاءَ أَنْ يَسِيرَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ مَعَ الرُّومِ وَيَخْلِي بَيْنَهُمْ وَصَلْبِهِمْ فَإِنَّهُمْ أَمِنُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَعَلَى بَيْعِهِمْ وَصَلْبِهِمْ، حَتَّى يَبْلُغُوا مَأْمَنَهُمْ، وَمَنْ كَانَ بِهَا مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ قَبْلَ مَقْتَلِ فَلَانٍ (هَكَذَا)، فَمَنْ شَاءَ مِنْهُمْ قَعْدَ وَعَلَيْهِ مِثْلُ مَا عَلَى أَهْلِ إِبِلْيَاءَ مِنَ الْجِزْيَةِ وَمَنْ شَاءَ سَارَ مَعَ الرُّومِ، وَمَنْ شَاءَ رَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ فَإِنَّهُ لَا يُؤْخَذُ مِنْهُمْ شَيْءٌ حَتَّى يُخَصَّدَ حِصَادَهُمْ: وَعَلَى مَا فِي هَذَا الْكِتَابِ عَهْدُ اللَّهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ وَذِمَّةُ الْخُلَفَاءِ وَذِمَّةُ الْمُؤْمِنِينَ، إِذَا أَعْطُوا الَّذِي عَلَيْهِمْ مِنَ الْجِزْيَةِ. شَهِدَ عَلَى ذَلِكَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ، وَعَمْرُو بْنُ الْعَاصِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، وَمَعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سَفْيَانَ، وَكُتِبَ وَحُضِرَ سِتَّةَ خَمْسَةِ عَشْرَةَ .





# أدب الاختلاف في الإسلام

المؤلف:

د. طه جابر نياض

العنوان:

النشر:

مجلة «الأمّة»

للقطرية

١٤٠٥ هـ = ١٩٨٤ م

إن الاختلاف في الإسلام شيء طبيعي لصاملين اثنين، أولاً: طبيعة الإنسان وتفاوت القدرات الجسدية والعقلية من شخص لآخر. وثانياً: طبيعة النصوص الشرعية (القران والسنة) والتي كثير منها يحتمل في تفسيره معاني عدة، ولكن هذا الكتاب الذي بين أيدينا، قام مؤلفه - جزاه الله عنا كل خير - ببحث أدبي الاختلاف وضوابطه مستشهداً بأحداث كثيرة جرت مع الرسول عليه الصلاة والسلام والتابعين وأئمة المسلمين رضي الله عنهم، وهو من الكتب القيمة التي كتبت في هذا المجال.

يقول المؤلف في تقديم كتابه:

«... فإن أمراض المسلمين - في عصرنا هذا - قد تعددت وتشتعت وفشت حتى شملت جوانب متعددة من شؤونهم الدنيوية والدنيوية، ومن العجيب أن الأمة المسلمة لا تزال على قيد الحياة، لم تصب منها تلك الأدواء - بحمد الله - مقتلاً على كثرتها وخطورتها، وكان بعضها كخيلاً بزيادة أم وشعوب لم تكن عنها كثرتها ولا وفرة مواردها، ولعل مرد نجاة هذه الأمة إلى هذا اليوم - رغم ضعفها - هو وجود كتاب ربها وسنة نبينا - عليه أفضل الصلاة والتسليم - بين ظهرانيها ثم دعوة نبينا ﷺ واستغفار الصالحين من أبنائها (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم، وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون)».

وإن من أخطر ما أصيبت به هذه الأمة في الآونة الأخيرة مرض «الاختلاف والمخالفة... الاختلاف في كل شيء، وعمل كل شيء، حتى شمل العقائد والأفكار والتصورات والآراء إلى جانب الآداب والتصرفات والسلوك والأخلاق: وتعدى الاختلاف كل ذلك حتى بلغ أساليب الفقه، وفروض العبادات وكان كل ما لدى هذه الأمة من

أوامر ونواه يحقها على الاختلاف أو يدفعها إليه والأمر عكس ذلك تماماً، فإن كتاب الله وصحة رسوله ﷺ ما حرصا على شيء - بعد التوحيد - حرصهما على تأكيد وحدة الأمة، ونبذ الاختلاف بين أبنائها، ومعالجة كل ما من شأنه أن يعكس صفو العلاقة بين المسلمين، أو يחדش أخوة المؤمنين، ولعل مبادئ الإسلام ما نددت بشيء - بعد الاشراف بالله - تذيدها باختلاف الأمة، وما حضت على أمر - بعد الإيمان بالله - حطها على الوحدة والائتلاف بين المسلمين، وأوامر الله ورسوله واضحة في دعوتها لإيجاد الأمة التي تكون كالجسد الواحد إذا اشتكى بعضه أصابه الوباء كله - ولكن رسالة الإسلام - مع ذلك -

رسالة واقعية تتعامل مع الإنسان على ما هو عليه، وخالق الإنسان - تبارك وتعالى - يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير، فقد وهب لعباده عقولاً ومقدرات متباينة من شأنها أن تؤدي إلى اختلاف نظرتهم وأفكارهم ومواقفهم من كثير من الأشياء، ولذلك فإن الإسلام يتسع إلى تلك الاختلافات كلها التي لا تهدد وحدة الأمة، فيكفي أن تتفق الآراء، وتلتقي التصورات، وتتوحد المواقف إزاء القضايا الكبرى والقواعد الأساسية، أما ما عداها من أمور فرعية وقضايا ثانوية مما يساعد اختلاف الرأي فيها على التنبؤ نحو الأفضل والأمتثل فلا خير فيه بل إن يكون لهذا الاختلاف ضوابط وحدوده، وقواعده وأدابه، ولا يؤثر على وحدة فكر الأمة ومواقفها من القضايا الأساسية الكبرى، فما حقيقة الاختلاف؟ وما الحدود التي لا يجوز تجاوزها فيه؟ وما أسبابه؟ وما القدر المسموح به منه؟ وما ضوابطه وأدابه؟ والسبيل للتحلص من سلبياته؟ هذا ما سنحاول بحثه في هذه المعالجة...



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَأَن طَآئِفَتَانِ

مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَقْتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغْت إِحْدَاهُمَا  
عَلَى الْآخَرَى فَقْتِلُوا الَّتِي تَبغى حَتَّى تَفىءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَآءتْ  
فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ

سورة المائدة

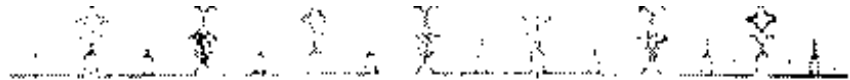
### سبب النزول:

أخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن أنس قال: قيل للنبي ﷺ «لو أتيت عبد الله بن أبي، فأنطلق إليه وركب حماراً وأنطلق المسلمون يمشون وهي أرض سبخة، فلما انطلق إليه قال: إليك هني، فواءه لقد أذاني ريح حماره، فقال رجل من الأنصار: والله لحمار رسول الله ﷺ أطيب ريحاً منك، فغضب لعبد الله رجلاً من قومه، فغضب لكل منهما أصحابه، فكان بينهم ضرب بالجرید والابدي والذغال، فنزلت الآية، وهذا ما قاله الطبرسي والقرطبي والشوكاني وابن كثير في تفاسيرهم.

إبن كثير:

قال ابن كثير في معرض تفسير هذه الآيات: يقول تعالى آمراً بالإصلاح بين الفئتين الباغيتين بعضهم على بعض ﴿وَأَن طَآئِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ فبينهما ﴿فَسَمَاهُمْ مَّرْمُوحِينَ﴾ مع الإقتتال وبهذا استدلال

البخاري وغيره على أنه لا يخرج عن الإيمان بالعصبة وإن عظمت لا كما يقوله الضوارج ومن تابعهم من المعتزلة ونحوهم، وهكذا ثبت في صحيح البخاري من حديث الحسن عن أبي بكر رضي الله عنه قال إن رسول الله ﷺ خطب يوماً ومعه علي المغير الحسن بن علي رضي الله عنهما فحمل ينظر إليه مرة وإلى الناس أخرى ويقول: «إن ابني هذا سيد ولعل الله تعالى أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين»، فكان كما قال ﷺ أصلح الله تعالى به بين أهل الشام وأهل العراق بعد الحروب الطويلة والواقعات المهولة. وقوله تعالى ﴿فَإِن بَغْت إِحْدَاهُمَا عَلَى الْآخَرَى فَطَآئِفَتَانِ﴾ التي تبغى حتى تفيء إلى أمر الله أي حتى ترجع إلى أمر الله ورسوله وتسمع للحق وتطيعه كما ثبت في الصحيح عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً قلت يا رسول الله هذا نصرته مظلوماً فكيف انصره ظالماً؟ قال ﷺ: تمنعه من الظلم فذاك نصرته إياه».



كلوا يضرب بعضهم رقاب بعض، و «سبب المسلم فسوق وقتله كفر». وإذا التقى المسلمان بسيوفيهما فقاتل والمقتول في النار.

لقد وردت نصوص شرعية تفيد أن المسلم يجوز له أن يستعمل السلاح دفاعاً عن دمه وماله وعرضه. ووردت نصوص تحرم عليه أن يستعمل السلاح ضد المسلم حتى ولو كان معتدياً. ومن ثم فإن الشرع ميز بين حالتين، حالة يكون الدفاع فيها مشروعاً، وهي الحالة التي يصل فيها صائل لمصعب المال أو الاعتداء على العرض أو النفس. في هذه الحالة يجوز للمعتدي عليه أن يقاتل الصائل، وأن يقتله إذا لم يمكن رده بأقل من القتل.

أما الحالة الثانية فهي حالة الفتنة بين المسلمين، وهي الحالة التي يختلط فيها الأمر على كثير من المسلمين، ويظن كل فريق أنه على حق. هذه الحالة لها أحكام خاصة، أهمها أنه لا يجوز للمعتدي عليه أن يقاتل المعتدي ولو كان على يقين أنه مظلوم وأن المعتدي ظالم، وكل ما يجوز له هو أن يحاول ردع المعتدي بالموعظة بدون سلاح. وأن يلوذ في وجه المعتدي. فعن سعد بن أبي وقاص قال: أشهد أن رسول الله ﷺ قال: «إنها ستكون فتنة القاعد فيها خيرٌ من القائم والقائم خيرٌ من المظالم والمظالم خيرٌ من الساعى، قال أفرأيت إن دخل عزيرٌ بيني فبسط إلي يده ليقبطني؟ فقال: «كُن كابن آدم». وتلا «ولئن بسطت إلي يدك لتقبطني ما أبسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالين».

وجاء في الحديث الآخر عن أبي تران رسول الله ﷺ قال له: «يا أبا تر لو رأيت إن قتل الناس بعضهم بعضاً يعني حتى تغرق حجارة الزيت من الدماء، كيف تصنع؟ قال: الله ورسوله أعلم. قال: «أفعد في بيتك وألق عليك بابك. قال: فإن لم يردك شعاع السيف فألق طرف رداك على وجهك كي يبوء بإلحاه وإثمه».

وقد أمر رسول الله ﷺ المسلمين في الفتنة أن يقطعوا أوتار قسيهم، وأن يضربوا حذ سيفهم بالمحارة، لتعطيل أسلحتهم خير من أن يستعملوها لقتل بعضهم.

وأما دور أهل الإصلاح بين المتخاصمين، فانه يقول: «وإن طائفتان من المؤمنين اختلفتا فاصلحا بينهما... الآية».

بقوله عز وجل «فإن فاعت فاصلحا بينهما بالعدل وأصلحا إن الله يحب المقسطين» أي عدلوا بينهما فيما كان أصاب بعضهم لبعض بالقسط وهو العدل... وقوله «فاصلحا» بين أخويكم يعني الفتنة المقتلتين «وانتقوا الله» أي في جميع أموركم «لتعلمكم ترجحون» وهذا تمليق منه تعالى للرحمة لمن انتقاء.

### فتح القدير:

وقال الإمام الشوكاني في تفسيره: «... والمعنى أنه إذا تقاتل فريقان من المسلمين فعل المسلمين أن يسروا بالصلح بينهم ويدعوهم إلى حكم الله، فإن حصل بعد ذلك التعدي من إحدى الطائفتين على الأخرى ولم تقبل الصلح ولا دخلت فيه كان على المسلمين أن يقاتلوا هذه الطائفة الباغية حتى ترجع إلى أمر الله وحكمه، فإن رجعت تلك الطائفة الباغية عن بغيتها وأجابت الدعوة إلى كتاب الله وحكمه، فعل المسلمين أن يعدلوا بين الطائفتين في الحكم ويتحروا الصواب المطابق لحكم الله، ويلتزموا على يد الطائفة الظالمة حتى تخرج من الظلم وتؤدي ما يجب عليها للأخرى...»

### سجع البيان في تفسير القرآن:

وقال الطبرسي في تفسير هذه الآيات: «وإن طائفتان من المؤمنين اختلفتا أي فريقان من المؤمنين قاتل أحدهما صاحبه «فاصلحا بينهما» حتى يصلحا ولا دلالة في هذا على أنهما إذا اختلفتا بقيا على الإيمان ويطلق عليهما هذا الاسم ولا يمنع أن تفسق إحدى الطائفتين أو تفسقا جميعا «فإن بغت إحداهما على الأخرى» بأن تطلب ما لا يجوز لها وتقاتل الأخرى ظالمة لها متعدياً عليها «فقتلوا التي تبغي» لأنها هي الظالمة المتعدي دون الأخرى «حتى تفيء إلى أمر الله» أي حتى ترجع إلى طاعة الله وتترك قتال الطائفة المؤمنة «فإن فاعت» أي رجعت وثابت وانقلمت وأثبتت إلى طاعة الله... «فاصلحا بينهما» أي بينهما وبين الطائفة التي هي على الإيمان «بالعدل» أي بالقسط حتى يكونوا سواء لا يكون من أحدهما على الأخرى جور ولا شطط فيما يتعلق بالضمنات من الأرواح «وواصلحوا» أي عدلوا «إن الله يحب المقسطين» العدلين الذين يعدلون فيما يكون قولاً وفعلًا.

### الخلاصة:

يقول عليه الصلاة والسلام: «لا ترجعوا بعدي

# الإمام الجويني:

## نافذة على علم الكلام

بقلم: أحمد فضل

بعد قراعتي لكتاب «امام الحرمين، الامام الجويني، للمؤلف الدكتور محمد الزحيلي، انتقل بعض المقطعات الواردة في الفصل الثالث منه «امام الحرمين وعلم الكلام، لاستيفاد منها عدة عبر ونستخلص بعض الحقائق من خلالها، ومما يجوز التنبيه إليه، ان امام الحرمين «الجويني، كان من كبار علماء الكلام. وكان ينسب الى الاشاعرة على اغلب الاقوال، وان نفى بعضهم ذلك، لاسباب ستتم لاحقاً، وكان يعتبر من كبار ائمة اهل السنة والجماعة.

ويقول المؤلف في تعريفه بكتاب «العقيدة الفطامية، لإمام الحرمين:

«بين الشيخ الكوثري رحمه الله في المقدمة - أي مقدمة كتاب «العقيدة الفطامية» - فضل علم أصول الدين وعلم الكلام وشرف وجدواه لأن معلومته يتعلق بالايمان واليقين، وصون عقائد المسلمين من الشكوك، مبيّناً منهج السلف فيه «الاقتصار في المعقول والاقتمار على ما في الكتاب والسنة من الأدلة جرياً مع حاجة الزمن، ولما استفحل شر الفتن، واتسعت الفتوحات وكثر الاتصال بأرباب الأديان والنحل وصنوف أهل الأهواء والميل، أوجب ذلك الرد على أصواتهم «بطرق عقلية يعترفون بها، ويغضضون لأحكامها، وهرما فعله الخلف في هذا العلم، وليس ذلك تطوراً في عقيدة الاسلام أصلاً في صميمها، لكنه تطور في طريق الدفاع عنها، ثم بين الكوثري مكانة امام الحرمين في هذا المضمار، وان له الفيدح المعلى فيه، وان مؤلفاته همزة وصل بين منهج السلف والخلف» ص ١٠٧.

يقول المؤلف أثناء تعريفه بكتاب «الارشاد الى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد»، الذي يعتبر من أهم كتب امام الحرمين في أصول الدين وعلم الكلام:

«وبدا امام الحرمين كتابه في مسائل الكلام بأشبات حدوث العالم للتدرج بالقاريء الى وجود الحديث، وهو الله تعالى، مع شرح المصطلحات الكلامية، ثم انتقل الى الكلام عن الله تعالى وصفاته، مبتدئاً بالصفات الواجبة لله تعالى، كالقدم وقيامه بنفسه، ومخالفته للحوادث، وما يستحيل على الله تعالى. بأنه ليس جسماً وهنا يرد امام الحرمين على دعاة التجسيم والتشبيه، ثم يرد على النصارى، ويتعرض خلال ذلك لمسألة الاستواء على العرش، ويفسره بمعنى القهر والغلبة والعلو...» ص ١٠١.

«وانتقل لشرح معاني أسماء الله الحسنى، وعرض بعض الصفات التي وردت في القرآن الكريم، كاليدين والعينين والوجه، واختار قول المتأخرين، ان الصحيح حملها على التأويل، بالقدرة والبصر والوجود، وناقش أقوال المخالفين...» ص ١٠١.

تقليدا فيه، وقد أحكم طريقة الجدل الهادف، معتصداً على استخدام العقل في فهم النصوص القرآنية. فأخذ يستنبط من هذه النصوص - بعد تحليلها وفهمها - المقدمات مرتباً الواحدة تلو الأخرى، واعتبرت كتبه بداية عصر جديد في علم الكلام من ناحية الأسلوب والصريح والتحليل والاستنباط والجمع بين المنقول والمعقول، والاعتماد على النصوص النقلية والصحيح العقلية، مما أوصله إلى آراء مستقلة. واجتهادات فريدة، وأقوال مبتكرة، وهو ما دعاه لمخالفة بعض الآراء والأقوال في مذهب الأشاعرة، وبيّن ضعفها، وتقديم البديل الصحيح لها، ومما لفته تأويلها بما يتفق مع منهجه في الدراسة والاستدلال، وهذا ما دعا بعض العلماء إلى وصفه أمام الجرمين بأنه لم يكن أشعرياً، لأنه يقول: «قل العبد بقدرته العبد مستقلة، ولا كسب. فلهذا كانت نسبتة إليهم دهوي، وله كلام في إثبات القدرة، وتضعيف قول الأشعرية» ص ١١٥.

ومن الآراء التي أثرت على أمم الحرمين قوله في صفات الله تعالى التي وردت في القرآن، كالكيد والعين والاستواء، وقوله فيها بالتأويل، ثم رجوعه عن رأيه في آخر كتبه إلى قول السلف بالتفويض وهو ما صرح به نفسه فقال:

«قد اختلفت مسالك العلماء في الظواهر التي وردت في الكتاب والسنة، وامتنع على أهل الحق فصواها وأجروها على موجب ما تبرزه أرقام أرباب اللسان منها، فرأى بعضهم تأويلها والتزام هذا المنهج في أي الكتاب وفيما صحح من سنن النبي ﷺ، وذهبت أئمة السلف إلى الإنكشاف عن التأويل وأجراء الظواهر على مواردها، وتفويض معانيها إلى الرب سبحانه... الذي ترتضيه رأياً، وتدينه الله به عقداً، أتباع سلف الأمة، فالأولى الاتباع وترك الابتداع، والدليل السمعى القاطع في ذلك أن أجماع الأمة حجة متبعة، وهو معتقد معظم الشريعة بوجد درج صحب النبي ﷺ على ترك التعرض لمصانبيها، وترك ما فيها، وهم صنوة الاسلام، والمستقلون بأعباء الشريعة» ص ١١٧.

ومما ينقله كثير من العلماء، أن الجويني رجح عن رأيه في علم الكلام، وأنه ندم على اشتغاله به، وأنه قال عند تناثر أسنانه في مرض موته:

«هذه اشتغالي بالكلام، فمأخذوه، وأنه قال: «يا أصحابنا لا تشغلوا بالكلام، فلو علمت أن الكلام يبلغ إلى ما بلغ ما اشتغلت به، وأنه قال: «والآن فقد رجعت عن الكل إلى كلمة الحق: عليكم بدين العجائز، فإن لم يدركني الحق بلطف يربو، والافالويل لابن الجويني»

ويحتوي كتاب العقيدة النظامية - وهو أهم كتب أمم الحرمين في علم الكلام - على تمهيد من تقطعتين: القول فيما يجب معرفته في قاعدة الدين، وباب في حدوث العالم، ثم يبين أمام الصريح خطة الكتاب بعنوان: «فصل في ترتيب تراجم العقائد، وحصره في ثلاثة أبواب: باب العلم بأحكام الآله، فثبت العلم بالصانع، ثم تكلم عما يستحيل على الله تعالى، وفيما يجب له من الصفات، وفيما يجوز في أحكام الله تعالى. والباب الثاني في مناهج التكليف من صفات العباد والباب الثالث في النيات التي بها تتصل الأوامر التكليفية بالعباد، وبها ترتبط الأمور السمعية والغيبية في الحشر والنشر والوعود والوعيد المشعريين بالثواب والعقاب، وغير ذلك مما أنبأ به المرسلون، وأخير به الصادقون» ص ١٠٩.

ويقول المؤلف في بسط آراء أمم الحرمين في علم الكلام:

«وبالغ - أي الإمام - في دراسة علم الكلام وصنف الكتب الكثيرة فيه، وبخاص المناظرات الدائمة في حياته، وكان يقول: «لقد قرأت خمسين ألفاً في خمسين ألفاً، ثم خليت أهل الاسلام بإسلامهم فيها، وعلومهم الظاهرة، وربكت البحر الضخم، وخضت في الذي نهى أهل الاسلام عنه، كل ذلك في طلب الحق، وكنت أشرب في سائل الدهر من التقليد والآن رجعت عن الكل إلى كلمة الحق، عليكم بدين العجائز» ص ١١٢. ونلفت نظر القراء إلى خطأ هذه العبارة، لأن دين العجائز يكون غالباً بالتقليد حيث لا يجوز التقليد. ثم يقول المؤلف بعد ذلك:

«وكان الأشاعرة يصلون لواء الدفاع عن الاسلام وعقائد المسلمين في ذلك العصر، ويمثلون مذهب أهل السنة والجماعة، وتوسطوا في الأسلوب والوسائل بين تطرف المعتزلة، وبين أهل الظاهر وكثير من العلماء الذين أثاروا السلامة في الصراع الفكري، والتزموا جادة النصوص والأدلة النقلية ورفضوا الخوض في الجدال والمناظرة، بينما حمل الأشاعرة واجب الدهوة، وتصدروا لشطط المعتزلة، ووقفوا في وجه الفلاسفات الوافدة، والانحرافات المتعمدة، والضجة المنتشرة، وانضروا أمام الحرمين في مدرسة الأشاعرة، وسار في كتبه وتدريسه على طريقة الأشعرية في علم الكلام...» ص ١١٤.

«ولم يكن أمام الحرمين مجرد نال لآراء المذهب الأشعري، بل تمتع بشخصية مستقلة، واجتهادات كثيرة، وكان يحلل الآراء وينقدها، ليقبل ما يراه حقاً، ويرفض ما يراه باطلاً، مما يعتبر تجديداً في المذهب، لا

- يقصد نفسه -

من هذه المعلومات المتعلقة بمؤلفات امام الحرمين وأرائه، نستطيع ان نستخلص حقائق مهمة وهديده، وأغلبها يدور حول علم الكلام:

### أولاً: ماهية علم الكلام :-

عندما نطلق لفظ «علم الكلام» عادة، فإننا نقصد به «التكلم في بعض العقائد الإسلامية العقلية الغيبية بالعقل، وبالأخص على طريقة المنطق». وقد عرف أول ما عرف بهذا المدلول، ويبدل على ذلك أيضاً، أنه سمي بهذا الاسم لأن أول بحث فيه هو البحث في القرآن الذي هو كلام الله، هل هو مخلوق أم غير مخلوق؟ ومن هنا نشأت هذه التسعية على رأي البعض. ولذلك اعتبرناه علماً فاسداً مخالفاً لطريقة الإسلام في البحث، إذ أنه الصام للعقل فيما ليس هو أهله، وفيما هو فوق طاقته مما يؤدي إلى نتائج وهمية ظنية أغلب الأحيان، إذ أن العقل - تبعاً لتعريفه وواقعه - لا يستطيع البحث في غير المحسوسات، والعقائد الغيبية - ومن أهمها الاعتقاد بصفات الله تعالى الغيبية - لا يمكن للعقل التوصل إليها إلا عن طريق الخبر الصادق الصحيح. لذلك كان حكم الأئمة والعلماء والفقهاء، بإدبيه الأمر شديداً على علم الكلام، إذ أنهم أدركوا الأوهام والأضلال التي سيؤدي إليها.

ولكن الذي أود التنويه إليه - وهو ما يستلزم من «مفهوم السابقة الذكر عن الإمام الجويني» - أن لفظ «علم الكلام»، أصبح فيما بعد يطلق على غير المدلول الذي سبق ذكره، أو عليه وعلى غيره معاً، فقد أصبح يطلق، لدى البعض، على كل بحث عقلي يتعلق بالعقائد، سواء أكان البحث في العقائد الغيبية التي لا يجوز أن يكون العقل حكماً فيها، كموضوع الصفات الغيبية، كالكلام والسمع والبصر والاستواء والذات والقدر، أو كان للبحث في العقائد الحسية كاثبات حدوث العالم وبالتالي إثبات وجود الخالق، وبحث القضاء والقدر، وبحث إثبات أن القرآن من عند الله، وغيرها من العقائد.

وهذا الأمر يتضح من طبيعة مؤلفات علماء الكلام، ومنهم الجويني، حيث سموا كلاً من القسمين من العقائد بعلم الكلام، كما سمّوه أيضاً بعلم التوحيد، وعلم أصول الدين. ولعل هذا الخلط قد تسبب عن عدم التفريق بين ما يجوز للعقل الحكم عليه، وما لا يجوز له الحكم عليه، نتيجة عدم معرفتهم لواقع العقل:

لذلك، من الخطأ أن نحكم على بعض الأبحاث

جملدي الآخرة ١٤٠٩ هـ - الموافق كانون الثاني

بالفساد، لجرد تسميتها من قبل البعض بعلم الكلام، أو لجرد ورودها في كتب علم الكلام، فهناك أبحاث في العقائد، تعد من المحسوسات التي يجوز للعقل الحكم عليها، بل أرشد القرآن إلى وجوب تحكيم العقل فيها لأنها لا تثبت بشكل جائز إلا عن طريق العقل، والإسلام حرم الظن في العقائد، فكان لا بد من تحكيم العقل من أجل التوصل إلى التصديق اليقيني الجازم في العقائد ذات الدليل العقلي.

فمثلاً، إذا نظرنا إلى أبحاث امام الحرمين في كتابه «الارهامة»، حسب ما مرّ سابقاً، لوجدنا بعض الأبحاث العقائدية العقلية التي شرعها الإسلام، فالبحث في مسألة «اثبات حدوث العالم للوصول إلى وجود المحدث، هو بحث شرعي، ولقد بحثناه في بعض كتبنا تحت عنوان «طريق الإيمان»، حيث اثبتنا عدم أزلية الكون وأنه محتاج إلى أوجده وهو الله تعالى. وبحث مسألة «القدم» بالنسبة لله تعالى، هو أيضاً بحث شرعي، بحثناه أيضاً حيث قلنا أن الخالق يتضمّن أن يكون أزلياً والا لم يكن خالقاً ولكن مخلوقاً. وكذلك بحث «القيام بالنفس» بالنسبة لله تعالى، وبمعنى أن الخالق لا يمكن أن يكون محتاجاً لغيره.

بينما، بحث الاستواء، وبحث الهدى والعينين والرجح، هذه أبحاث غيبية من بين العقائد لا يجوز الحكم عليها بواسطة العقل.

ولعل هذا الخلط بين العقائد العقلية والعقائد العقلية، ولعل إطلاق تسمية «علم الكلام» على كلي القسمين، هو الذي أدى فيما بعد إلى تفاوت مؤلف العلماء من علم الكلام، فنراه بين منطرف في الدفاع عنه، وبين مقابل له في الهجوم عليه، وبين من لا يحسم الأمر لا بالدفاع عنه ولا بالهجوم عليه.

لذلك، فإنه يجب - حين التحدث عن علم الكلام ونقصه - تحديد مدلوله، وموضوعات بحثه، حتى يحسم الأمر برّده نهائياً، لأنه بحث عقلي فيما لا يجوز بحثه بالعقل. ويجب أن يكون واضحاً لدى المسلمين ماهية علم الكلام حتى يدركوا سبب مهاجمتنا له وإبطالنا لمشروعته.

ومما يجدر التنويه إليه، ما كان عليه الفريقان المعروفان بأهل السلف وأهل الخلف، من كونهما على طرفي نقيض في البحث. وأقصد بأهل السلف هنا، العلماء الذين اعتبروا أنفسهم على طريقة الصحابة في كيفية أخذ العقيدة، ولا أقصد الصحابة أنفسهم أو تابعيهم.

طريقة المنطق وعلم الكلام، ويتناولان فعل الإنسان من زاوية صفات الله تعالى.

فقسام فريق ثالث من العلماء، وأراد الرد على الطرفين، فتوصل إلى نتيجة تتوسط ما توصل إليه الفريقان السابقان. وذلك بواسطة علم الكلام أيضاً. وسقوا أنفسهم أهل السنة والجماعة، وكان على رأسهم أهر الحسن الأشعري والماتريدي، ثم جاء من بعدهما الباقلان والاسفراييني والجويني والفزالي، وقد اعتبروا حاملي لواء أهل السنة والجماعة، ولا يخفى على أحد أنهم كانوا جميعاً من رواد أهل الكلام، وإن تراجع أكثرهم عنه، وكانوا يُعرفون بالأشاعرة.

وعندما أطلقنا عبارة «أهل السنة والجماعة» في بحثنا المتعلق بالفضاء والقدر، واعتبرناهم كلاميين، أردنا بهم هؤلاء العلماء من أهل الكلام الذين شاركوا الجبرية والمعتزلة في منهجهم، وإن خالفوهم في النتائج التي توصلوا إليها. وليس المقصود السلف الصالح ومن هو على دريهم كالأشعري ومالك وأمثالهما.

### ثالثاً: مشكلة التأويل:

إن مشكلة تأويل بعض الصفات بقصد التنزيه، كانت موجودة لدى كثير من العلماء - وإن تراجع عنها الكثير منهم - وبالتالي فلقد كانت موجودة لدى كثير من المسلمين بحكم اتباعهم لمسايقهم وأئمتهم. فالاسام الجويني مثلاً كان وراءه قسم من الناس لا يستهان بهم من حيث العدد، وكذلك غيره من العلماء والأئمة الذين بحثوا في علم الكلام وخاضوا فيه.

وقد أوردت هذه الملاحظة، لآلفت النظر إلى أن هذه المشكلة ليست جديدة حيث نعاني منها اليوم، فلقد كانت موجودة على مستوى عريض، وما يجدر التنبيه إليه هو أن أهل الصواب والواعين من العلماء، لم يقابلوا هذه الموجة بالتكفير إن اشتغل بالتأويل، كما يفعل الكثير اليوم بحجة التعطل وما شابهه، بل ركزوا على أبطال المتهج الذي وصل بالمؤولين إلى ما وصلوا إليه، حيث هاجموا علم الكلام، وتحكيم العقل في صفات الله تعالى. ولم يلقوا مؤلف التكفير والتضليل، لأنهم أدركوا أن علماء الكلام كانوا ينطلقون بكلامهم بهدف اثبات العقائد الإسلامية ويهدف تنزيه الله تعالى، فكان ذلك شبهة لهم. حلالة على أنهم لم يخالفوا القطعي من العقائد، إذ إن ما أولوه لم يكن قطعي الدلالة، والألم يمكن تأويله.

فإننا إذا نظرنا إلى كل فريق منهما على حدة لوجدناه متطرفاً في طريقة بحثه بالنسبة للأخر. فأهل الخلف، ألفروا في الاستدلال على العقائد بالعقل، سواء العقلية منها أو النقلية، فبدلوا جهدهم في الاتيان بدليل عقلي على كل فكر عقائدي. وأهل السلف، فرطوا في الاستدلال بالعقل على العقائد العقلية، حيث حاولوا أن يستغنوا عن العقل، بأن يستدلوا على كل العقائد بالنقل، سواء العقلية منها والنقلية، حتى أنهم اعتبروا أن مسألة «الفضاء والقدرة» هي نفسها مسألة «القدرة»، حتى لا يخرجوا عن إطار البحث النظري، مع أن هذا ليس منهج القرآن ولا السنة ولا الصحابة ولا السلف.

فالأخرى بما أن نقول أن منهجنا هو منهج القرآن في بحث العقائد، وهو أن تبحث العقائد الحسية المعقولة بالعقل، والعقائد القبيية المنقولة بالنقل الصحيح، فهذا للتحديد، هو التحديد المنضبط.

ولا يصح أن نفاضل بين منهج أهل الخلف ومنهج أهل السلف، كمن يفاضل بين مذهب الشافعي ومذهب أبي حنيفة، كأن نقول منهج السلف اسلم ومنهج الخلف أعلم وأحكم، وما شاكل ذلك، والا لأدى ذلك إلى اعتبار أن الإسلام سمح بأكثر من منهج في أخذ العقائد، وللمسلم أن يختار المنهج الأقرب للصواب. مع أن منهج الإسلام في أخذ العقائد واحد ثابت لا يتغير، وإن شد وتاه بعض الناس أمثال أهل الكلام.

### رابعاً: أهل السنة والجماعة:

من الانطباعات الشائعة اليوم، أن كلمة «أهل السنة والجماعة»، عندما تطلق فإنه يراد بها، أهل الحق، أو أهل الفهم السليم والمنهج الصحيح من المسلمين، لذلك من الملاحظ أن الفرق الكلامية التي تنشأ في أيامنا هذه، تدعي كل واحدة منها كونها مذهب أهل السنة والجماعة، وقد تجد فرقتين كلاميتين تكون الواحدة على الطرف النقيض للأخرى، وكلاهما تدعي أنها على مذهب أهل السنة والجماعة.

وإذا نظرنا إلى ابتداء استعمال هذا التعبير، لوجدناه أطلق على العلماء الذين قاموا للرد على المذاهب الكلامية، بشقيها الجبرية والمعتزلة، حيث توصل هذان المذهبان إلى آراء متناقضة. فقال الجبرية إن الإنسان مسير ومجبر على كل فعل يقوم به ولا شأن لإرادته وقدرته في فعله وأن الله مستقل بخلق الأفعال. وهؤلاء قد خرجوا بهذا الرأي زدا على المعتزلة الذين اعتبروا الإنسان مخيراً بإفعاله، وهو الذي يخلقها بإرادته وقطعه ويخلق ما تولد عنها، وكان الفريقان في بحثهما ينتهجان

لبعض الصفات الواردة في القرآن والسنة، كالهدى والعين والاستواء، إلى التفويض، وهو من كبار علماء أهل السنة والجماعة، ليزيدنا قناعة بما توصلنا إليه من أن الصفات تؤخذ كما وردت دون أي تاويل أو تفصيل.

وما يجدر التقويه إليه، هو أن أمام الحرمين، لم يتراجع عن التاويل إلى الأخذ بالظاهر، فبعد أن أكل مسألة اليدين والعينين والوجه، بالقدر واليصر والوجود، ومسألة الاستواء بالقهر والغلبة والعلو، لم يرجع إلى القول بأن الله له يد وله عين وله وجه، وإن الاستواء هو الطول والارتفاع أو الجلوس أو ما شاكل ذلك، بل رجع عن كل آرائه إلى التفويض، والتفويض شيء، والأخذ بالظاهر شيء آخر، حيث قال: مذهب أئمة السلف إلى الانتكاف عن التاويل وإجراء الظواهر على مولدها، وتفويض معانيها إلى الرب سبحانه، والذي ترتضيه رأياً وتدين به عقداً، اتباع سلف الأمة فالأول اتباع وترك الابتداء...

وهذا الذي توصل إليه الجويني هو الصواب، لأن الأخذ بالظاهر كالأخذ بالتاويل، من حيث أن كلا المعنيين محتمل. قال الغزالي في المستصفى عن الظاهر: «هو اللفظ الذي يغلب على الظن فهم معناه من غير قطع...» وقال الأمدى في الأحكام: «اللفظ الظاهر ما دل على معنى بالوضع الأصلي، أو العربي، ويحتمل غيره احتمالاً مرجوحاً».

صحيح أن الظاهر أرجح من التاويل ومقدم عليه، ولكن هذا لا ينفي احتمال أن يكون المعنى الذي أُلِ التاويل هو الصواب، لعدم وجود القرينة القاطعة التي ترجح أحد المعنيين على الآخر. بخلاف ما إذا وجدت قرينة قطعية تدل على أحد المعنيين، فعندئذ يؤخذ بالمعنى المقطوع به، سواء أكان ظاهراً أم مؤولاً.

وتنم مطالبون بتقديم المعنى الظاهر، فيما يتعلق بالأحكام الشرعية، ولو لم يكن الظاهر قطعياً، وذلك لأننا مكلفون بالعمل بمقتضى الظن، ولو بما غلب على الظن، ولأن الظاهر هو المقدم. إلا أننا قد نعدل عن الظاهر إلى المؤول لوجود قرينة تصرف المعنى عن الظاهر ولو لم تكن قطعية. قال الأمدى: «وأما التاويل المقبول الصحيح فهو حمل اللفظ على غير مدلوله الظاهر منه مع احتمال له دليل يعضده، وقال الغزالي: «التاويل عبارة عن احتمال يعضده دليل يصير به أغلب على الظن من المعنى الذي دل عليه الظاهر». وأما في المقائيد فنحن مكلفون بالتصديق الجازم أي بالقطع، وهو لا يتأتى بالاجتهاد والمفاضلة بين الظاهر والمؤول إليه.

لذلك عندما نريد أن نصوب من يتكلم في صفات الله تعالى بالعقل ويؤولها حسب ما يراه تنزيهاً، فإن التصويب لا يكون بمناقشة النتيجة التي وصل إليها، بل بمناقشة المنهج الذي أوصل إلى هذه النتيجة.

فمثل سبيل المثال، إذا أردنا أن نرد على القائمين بخلق القرآن، لا يجوز أن يكون ردنا عليهم بمناقشة رأيهم من حيث هل هو صحيح أم خطأ، بل الرد يكون بإبطال المنهج الذي أوصلهم إلى ما وصلوا إليه. فمتجهج هو كالتالي: «القرآن لغة عربية، واللغة العربية مخلوقة، إذن فالقرآن مخلوق»، وإذا أراد البعض أن يناقض النتيجة التي توصلوا إليها وإن يردوها لقال: «القرآن كلام الله، وكلام الله من صفاته، إذن فالقرآن أزلي غير مخلوق». فالذي ناقض النتيجة هنا وقع في نفس الخطأ، وهو أنه أنتهج المنطق للتوصل إلى فكر عقائدي.

والرد الصحيح على الفريقين، يكون بإبطال المنهج الذي انطلقوا من خلاله وعدم مناقشة النتيجة، لأنها ليست مما طلبت الشريعة بحثها والخوض فيه.

## رابعاً: آراء أهل السنة والجماعة اجتهادية فنية: -

إن في بعض آراء أمام الحرمين الجويني ما يلفت النظر إلى أوضاع فكرية كانت موجودة بين أهل الكلام، وعن بينها ما ثوره إليه الكاتب من مخالفة الإمام الجويني للأشاعرة في موضوع الكسب، حيث نفى هذه الفكرة، وأكد على أن الإنسان مستقل بفعله وقدرته، في حين أن الأشاعرة قالوا بأن الإنسان كاسب لأفعاله، ويقصدون بذلك أن الإنسان عندما يريد أن يقدم على فعل ما، فإن الله سبحانه يخلق الفعل على يديه عند ذلك، أو أن الله عز وجل أجرى العادة في خلق الأفعال عند إرادة العبد وعزمه على الفعل.

فهذه المخالفة من الإمام الجويني للأشاعرة، على الرغم من كونه من كبار الأشاعرة، تزيد التأكيد على أن بحث أهل السنة والجماعة لمسألة القضاء والقدر وإدراك شأنهم في ذلك شأن الجبرية والمعتزلة، بدليل أن ما توصلوا إليه لم يكن قطعياً، حيث خالفهم الإمام الجويني وغيره من الأئمة.

## خامساً: التاويل والأخذ بالظاهر، كلاهما خطأ، والصواب التفويض: -

إن تراجع الإمام الجويني عن آرائه في التاويل جملدي الأخيرة ١٤٠٩ هـ - الموافق كانون الثاني ١٩٨٩ م



النصوص المتعلقة بالصفات لا يجوز، فإننا نقول:

إذا بحث البعض في الصفات وفسروها، بأن أخذوا بطواهر النصوص أو لؤلؤها، فلا يجوز لهم تكفير مخالفينهم ممن اشتغلوا معهم بالتساويل أو الأخذ بالظواهر، ذلك أن كلاً منهم يتوسل إلى نتائج ظنية محتملة، فلا قطع مع الاحتمال، والتكفير لا يتوجه إلا لمن خالف قطعياً من الدين.

**سادساً: تراجع أكثرهم عن علم الكلام:**

وإن أهم ما في حياة الامام الجويني رحمه الله تعالى، هو تراجعهم عن علم الكلام كغيره من الأئمة والعلماء الأفاضل، حيث لمسوا بأنفسهم خطورته وضرره الكبير على الثقافة الإسلامية، وعلى عقول الناس ونفسياتهم وبلغت على سلوكهم.

فلمن بهره علم الكلام نقول، هؤلاء هم رواده، وما هم يفزون منه كما يفز المرء من النار، ولأما يسلم من الرائل من دخل باب علم الكلام، وليس المخاطر بمحمود ولو سلم، والمؤمن يتعظ مما يراه، فهو كئيب لظن كما وصفه عليه وعلى آله وصحبه السلام.

والله تعالى اعلم وأحكم.

وقد يقول قائل: «المناقضة والتبرجيع مطلوبان، لا للاعتقاد بالمعنى جزماً، بل لجرد التصديق به، كما أننا تصديق بظهر الأحاد مع كونه ظنياً»، فنقول، منهج الرسول مع صحابته هو عدم البحث والتفصيل في المتشابه من آيات الصفات، فلا يجوز الفحص فيها، حيث قال عليه الصلاة والسلام: «تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في ذاته» أو كما قال عليه الصلاة والسلام: «وإن قل عن الإمام مالك قوله: «طأما الكلام في دين الله وفي الله عز وجل فإسكوت أحب إليّ لأنني رأيت أهل بلدنا يتهون عن الكلام في الدين إلا فيما تحته عمله» وقال ابن عهيد البرقي: «ليس في الاعتقاد كله في صفات الله وأسمائه إلا ما جاء منصوصاً في كتاب الله أو صح عن رسول الله ﷺ أو أجمعت عليه الأمة، وما جاء من أخبار الأحاد في ذلك كله أو نصوه يسلم له ولا يشارف فيه». وقد نقل عن كثير من العلماء والفقهاء إزاء حديث الصفات قولهم: «أمروها كما جاءت». وقال ابن عبد البر رحمه الله: «رواها السلف وسكتوا عنها، وهم كانوا أعمق الناس علماً وأوسعهم فهماً وأقلهم تكلفاً، ولم يكن سكتهم عن عي، فمن لم يسمع ما وسعهم فقد خاب وضره».

وعلاوة على أننا نقول إن البحث في المتشابه من

## جامعة الامام الأوزاعي الإسلامية

### طلب أعضاء هيئة تدريس

الماجستير والدكتوراه. وهي ستعنى بمواضيع الآثار والعمارة الإسلامية، والفنون الحرفية، والفنون الغنائية، وتاريخ العلوم والحضارة الإسلامية.

(٥) كلية التربية - مشروع مستقبل - وهي ستمنح درجات الماجستير والدكتوراه والكلمة ستعنى بمواضيع التربية عامة، والتربية الإسلامية، والاعلام والمصانف الرسالية.

ترسل الطلبات مع الترخيص العلمي للمرشح إلى:  
وقف المركز الإسلامي للتربية - مشروع جامعة الامام الأوزاعي  
ص. ب ٥٣٥٥ - ١٤ - بيروت - لبنان

أو إلى C/O P. O. BOX 7121  
NICOSIA, CYPRUS

والدكتوراه، وتعنى الكلية بتدريس الإسلام ودراسه من نواحيه المختلفة.

(٦) كلية إدارة الأعمال الإسلامية - بدأت التدريس عام ١٤٠٩ هـ الموافق ١٩٨٨ م - وهي تمنح درجات الليسانس والماجستير والدكتوراه، وتعنى الكلية بدراسة علوم إدارة الأعمال وما يتصل بها من منظر إسلامي.

(٣) كلية التكنولوجيا - مشروع مستقبل - وهي ستمنح درجات الماجستير والدكتوراه، والكلية ستعنى بمواضيع إدارة ونقل وتطبيق تكنولوجيا مساومة وملائمة للبيئة في مختلف الميادين الحياتية والصناعية والإنسانية.

(٤) كلية الفنون - مشروع مستقبل - وهي ستمنح درجات

يقان وقف المركز الإسلامي للتربية من حاجته للتعاقد مع أساتذة من الصالحين في الجامعات العربية والإسلامية والإجنبية وغيرهم من حملة الدكتوراه للعمل في كلياته المختلفة في لبنان، وذلك تدريجياً وإشرافاً على الأبحاث ورسائل الماجستير والدكتوراه، وكذلك للعمل في مراكز التدريس التي سيتم إنشاؤها في المعالم المرورية والإسلامية والمهجري مستقبلاً. وذلك إبتداءً من العام الجامعي ١٤٠٩ / ١٤١٠ هـ الموافق ١٩٨٩ / ١٩٩٠ م.

والكليات هي -  
(١) كلية الإصم الأوزاعي للدراسات الإسلامية - بدأت التدريس عام ١٤٠٠ هـ الموافق ١٩٧٩ م - وهي تمنح درجات الليسانس والماجستير

حديقة  
«الوعي»

من نور كتاب الله

﴿واتل عليهم نبا الذي اتيناها آياتنا  
فانسلخ منها ما اتبعه الشيطان فكان من  
الفلوین. ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه اخلد إلى  
الارض واتبع هواه. فمثل كمثل الكلب إن  
تعامل عليه يلهث أو تتركه يلهث﴾

{الأعراف (١٧٩)}

من هدي رسول الله

عن ابن عباس رضي الله عنه عن رسول  
الله ﷺ أنه قال: خمس دعوات يستجاب لهن:  
دعوة المظلوم حتى ينتصر، ودعوة الحاج  
حتى يصدر، ودعوة الغزاة حتى يقبل.  
ودعوة المريض حتى يبرأ، ودعوة الأخ لأخيه  
بظهر الغيب. وأسرع هذه الدعوات إجابة  
دعوة الأخ لأخيه بظهر الغيب.  
رواه البيهقي في شعب الإيمان

«من حديث لقمان لولده»

مررت على كثير من الانبياء فاستفدت منهم  
ثمانية حكم

- ١ - إن كنت في الصلاة فاحفظ قلبك.
- ٢ - وإن كنت في مجالس الذكر فاحفظ لسانك.
- ٣ - وإن كنت في بيوت الناس فاحفظ بصرك.
- ٤ - وإن كنت على الطعام فاحفظ على معدتك.
- إثنان لا تذكرهما أبداً.
- ٥ - إساءة الناس إليك.
- ٦ - وإحسانك إلى الناس.
- وإثنان لا تنسهما أبداً.
- ٧ - الله.
- ٨ - والدار الآخرة.

عزاء على

بطاقة

تهنئة

القارىء

أثور أبو ط.

المانيا الغربية

حديث شريف

قال ﷺ:

«إذا ظهر الربا والزنا في قرية فقد أحلوا بأنفسهم

عذاب الله».

أخرجه الحاكم

لمن شكوا ماسينا  
ومن يصغي لشكوانا ويجدينا  
انشكو موتنا ذلاً لوالينا  
وהל موت سيحينا  
قطيع نحن. والجرار راعينا  
ومغنيون... نمشي في اراضينا  
ونحمل ثقتنا سراً... بايدينا  
ونعرب عن تعازينا لنا فينا  
لوالينا - ادم الله والينا -  
رأنا أمة وسطاً  
فما ابقى لنا ديناً. ولا ابقى لنا ديناً!  
وإلا الأمر ما خنتم ولا هنتم  
ولا أبديتم اللينا  
جزاكم ربنا خيراً  
كفيتم ارضنا بلوى اعدينا  
وحففتكم امانينا.  
وهذي القدس تشكركم  
فلي تديدكم حيناً  
وإني تهديدكم حيناً  
سحقتم أنفس امريكا  
فلم تنقل سفارتها  
ولو نقلت - معاذ الله -  
لو نقلت  
.. لضية ما فلسطين!  
\* \* \*  
ولاد الامر  
هذا النصر بكفيتكم وكفينا  
تهانينا

كلمة حق

كلمة حق

كلمة حق



عندما يكرمك

الغرب!

سبح السويد ونجيب محفوظ

حينما طبل الإعلام وهلل لمنح جائزة نوبل لشخص عربي قلنا وفي العدد السابع من هذه المجلة إن هذا الهتاف الإعلامي إنما يدل على إكبار للغرب ومقاييسه ومفاهيمه عن الحياة، وتساءلنا يوماً: لماذا تم انتقاء شخص قصصي أو مؤلف روايات لهذه الجائزة، ولم يقع اختيارهم على عالم في مجال الذرة أو عالم كيمياء أو طبيب متفوق، وهل يعد ذلك الإنتقاء مؤشراً على أن نظرتهم للعرب لا تتعدى كونهم قوماً يتقنون صناعة الكلام ولا يتقنون غيرها؟ وقلنا أيضاً إن كل شخص يخدم الغرب فكرياً أو سياسياً يكون مشروع مرشح لهذه الجائزة، ويستحيل أن تُعطي لغير الأشخاص الذين ينقلون حضارة الغرب وفكره ومنهج حياتهم.

وسرعان ما تبين سبب الإنتقاء لهذا الشخص بالذات، وتبين أن التقديرات كانت في محلها، فقد تبين أخيراً أن نجيب محفوظ كان قد تجرأ على دين الله منذ ستينات هذا القرن في روايته «أولاد حارتنا» تلك الرواية التي تعرض فيها للإسلام بصورة مسيئة له كما أنه تعرض لذات الله سبحانه وتعالى ورسله بالتجريح والإهانة، فتصدى له مجمع البحوث الإسلامية في الأزهر عام ١٩٦٨ وأصدر قراراً يحظر تداول الرواية الخبيثة ولكن إعلام الدولة الرسمي تجاهل هذا الحظر، فقام مؤخراً بإذاعة فصول من الرواية الخبيثة من خلال إذاعة صوت العرب، ومن خلال مسلسل في التلفزيون المصري.

﴿قاتلهم الله أنى يؤفكون﴾



**نقشیه سوریه والعراق**  
**حسب اتفاقية (سايكس بيكو) سنة ١٩١٦م**